مارون الحكيم

المرايا الخلفية

ضوء ذاتي على كواليس الحياة والفنّ

المرايا الخلفية
ضوء ذاتي على كواليس الحياة والفنّ

مارون الحكيم

المرايا الخلفية

ضوء ذاتي على كواليس الحياة والفنّ

• إسم الكتاب: **المرايا الخلفية**، ضوء ذاتي على كواليس الحياة والفنّ
• المؤلّف: **مارون الحكيم**
• الأسئلة: **سمر ناهض**
• الغلاف الخارجي والتصميم الغرافيكي: **سماح الحكيم**
• الطبعة الأولى: **كانون الثاني (يناير) 2013م** - 1000 نسخة
الورق Rives Artist 120g تقدمة معوّض للورق، بيروت، لبنان
info@mouawadpaper.com
00961 1 489130
MOUAWAD PAPER & BOARD

• **جميع الحقوق محفوظة للمؤلّف © مارون الحكيم**

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الإسترجاع، أو نقله، على أيّ نحو أو بأيّ طريقة سواء أكانت «إلكترونية» أم «ميكانيكيّة» أم بالتصوير، أم بالتسجيل أم خلاف ذلك إلّا بموافقة المؤلّف.

• الناشر: **بيسان للنشر والتوزيع والإعلام**
ص. ب.: 5261 - 13، بيروت، لبنان
تلفاكس: 351291 1 00961
info@bissan-bookshop.com

مارون الحكيم، فنان تشكيلي

- مواليد مزرعة يشوع، المتن الشمالي، لبنان، 1950
- دبلوم دراسات عليا في الرسم والتصوير من معهد الفنون الجميلة، الجامعة اللبنانية، 1975
- دبلوم «أستاذ فن» في السيراميك من كلية روما للفنون التطبيقية، روما، إيطاليا، 1976
- نقيب الفنانين التشكيليين اللبنانيين 2002 - 2009
- أستاذ ملاك في معهد الفنون الجميلة، الفرع الثاني، الجامعة اللبنانية 1979-2013
- رئيس قسم الفنون التشكيلية في معهد الفنون الجميلة، الفرع الثاني، 1986-2013
- حائز على رتبة أستاذ (أعلى رتبة أكاديمية في الجامعة اللبنانية) منذ العام 2002
- مؤسّس نقابة الفنانين التشكيليين اللبنانيين، 2002
- أقام واحد وثلاثين معرضاً فردياً في لبنان والخارج
- اشترك بأكثر من مائة معرض جماعي في لبنان والخارج
- له العديد من الأعمال المميّزة في المؤسّسات العامة والخاصة والحدائق العامة أهمّها:

1992: مصمّم فينيكس الإعلان

1996: نصب تذكاري بمناسبة مئويّة مصنع ضبيه للمياه

1999: مصمم شعار سيمبوزيوم عاليه للنحت

2000: مصمم ملصق الذكرى السنويّة الرابعة لمجزرة قانا

2008: تمثال البطريرك دانيال الحدشيتي من البرونز في حدشيت، شمال لبنان

2008: نصب «أرض السلام»، مدخل مزرعة يشوع من الحجر اللبناني

2008: مصمم شعار مؤسسة «هولسيم» من البرونز

2011: مصمم شعار جائزة «رجل السلام» من البرونز، كازينو لبنان

الأنا الخلاَقة

حين تجتمع التقنية بالعفوية في لعبة الفن الصادمة والصادقة، يتبدل العمل الفني من الحرفية القادرة إلى الإحترافية – الرسالية. تذوب المشاعر والرؤى في المواد لتصبح شكلاً آخر لمعانٍ تغدو ذات سحر، فتطفو أمام العين وتبرق في العقل وتلتصق بالذات الجماعية. أداعب أدواتي وأسكر بعشق المواد، فتتحوّل طبائع الأشياء لتصير نسيجاً من إشعاع ونور، فتخطفني إلى عوالمها المشعة بالأحاسيس والتداعيات ذات الإحتمالات والتأويلات الفنية اللامتناهية.

هذه النبرات المرشوشة على سطح القماش تفعل فعلها في الكيان، فتنغرز وشماً يحاكي خفايا روحي: لطخات لونية، زيوح ونقاط، تمشيحات وخربشات، أضواء وظلال، تموجات واتجاهات وانعكاسات.

هلوسات وأحلام، تأملات وتفحصات، إعادة صياغة ودوزنات، تلوين بطبقات فوق طبقات، وتدرجات تلي تدرجات، سماكات وشفافيات، تمشيحات وارتجاجات، قحْف وتليين، مشط وتدليك، برم وحدل، تنقيط وتزييح، تحديد لاتجاه، وقطفٌ لحركة، إظهار لمعالم وجه أو تموجات جسد، اطلالة لنور أو انحسار لعتمة، اختصار لمساحة أو تدقيق في تفصيل، إبراز لألوان أو إسقاط لأخرى.

هذا الدفق المتنوع لمسار عملية الخلق في التلوين، يهتدي بتنوير الرغبة وبشبق العشق للجبلة اللونية. عاشقٌ ومعشوق، يسحر أحدنا الآخر بآلية متبادلة المفاعيل والنتائج. حيناً يكون الفنان عاشقاً لألوانه، وأحياناً أخرى تتعمشق الألوان بأدواته وبكيانه، فلا تتركه إلاّ وهو صريع هواها.

تأخذني الألوان إلى الذهول والانبهار والنشوة المطلقة. تنهنهني شظايا تدرجاتها وإشعاعاتها وعتماتها وذبذباتها المتواترة المتوترة والهادئة. تدغدغني تنوعاتها وأصنافها، خصائصها ولواعجها، نبراتها وزكزكاتها، سماكاتها وشفافياتها، دلالاتها وعدميتها، رموزها وضياعها، إشراقاتها ودكناتها، حرارتها وبرودتها، سطوتها ورضوخها، شموخها وتواضعها، احتمالاتها وبساطتها، جمالاتها

ودماماتها، صعوباتها وسلاستها، تموجاتها وركودها، تبسيطاتها وتعقيداتها. انبهاري بها توترٌ، فيضٌ وانشراح.

لن يعرف اللون حدوداً ولن يستكين سحره وتدفقه. سيبقى ينزف من شرايين الخلق إشعاعات تنبض بالحياة، بالجمال، بالألق، ألق الفن المنتفض دوماً على نفسه، محيياً ذاته بذاته. لعبة العاشق والمعشوق بين الفنان وأدواته ومواده، تصير ولادة متجددة في كل مرة يقف فنانٌ أمام قماشة بيضاء أو في وجه صخرة عذراء. أعجوبة الولادات المتكررة المستعادة التي تبتكر ذواتها من طموحات وهلوسات وتخيلات ومتاهات وأحلام، تستفيق فجأة من غفلة زمن لتجعل المستحيل واقعاً حياً تلمسه عينٌ وتراه أنامل. السعادة، البهجة، السرور، الانتشاء والرضى، هي حصيلة طبخة الألوان بأيدي سَحَرتها. في كل زاوية من لوحة وفي كل تفصيل من مساحة، تسكن أرواح الألوان وأطيافها. تتحد بأشكالها، برموزها، بنبراتها، بإشعاعاتها، وتستمد استمرارها من إمكان تجدد تأثيرها لتحيا في أعين المشاهدين المتذوقين.

في كل مرّة أريد أن ألوّن مساحة ما، أقف أمام ملونتي نابض القلب محتاراً متهيباً تجاه أنهار اللون اللامتناهية والجارفة. من يختار الآخر، هي أم أنا؟ تساؤل يحيّرني ويلبّكني، ولا أعرف له جواباً. كيف أنتقي اللون المعيّن، وأعصره وأمزجه في زمن محدد، مع لون آخر قد يبدو غير مألوف في ملونتي؟ حقاً أنا عاجز عن إيجاد تفسير منطقي لهذا التساؤل. أهي المصادفة الصرفة؟ أهي الإرادة المحققة؟ أم هي الرؤيا النابعة من مزاجية أشواق اللاوعي وهتافاته المجبولة بكثير من التأملات والإبحارات في أغوار الطبيعة وجمالاتها بحسب الفصول والأيام وتبدلاتها؟ أم بحسب الحالات النفسية الذاتية الصادرة من وهج الداخل وعتماته؟ لا جواب عن هذا اللغز. انها عملية معقدة محيّرة وممتعة تحتمل نقاشات قد تطول.

في أعماق بئر الذات، تترسب كل مشاهداتي وذكرياتي، شهواتي وأحلامي، هلوساتي وحقائقي. حين أحرّك تلك الأعماق، تطفو الصورة الأصلية لمكنوناتي إلى سطح الواقع. آنذاك تبدو الإنجازات الفنية في حلّتها العارية والصادقة.

تفاجئني النتائج الجديدة لعملي التشكيلي. أبدو غريباً عنه. ألانه صادرٌ من أعماق أعماق تلك الهوة السحيقة في الذات، التي لا نصلها إلا في أحيان التحدي الحقيقية الرؤيوية؟ ربما هي حالات التجلي وأوقات المناجاة النادرة. أو هي حالات من الانخطاف الساحر بتعبيراته وأشكاله وألوانه التي لا تفسير له بسوى منطق الايمان العميق، الايمان بأن للفنانين الخلاّقين رصيداً كبيراً عند الخالق خصّهم به فاختارهم ومنحهم نعمة مشاركته لإكمال عملية الخلق اللامتناهية؟!

أعجوبة الخلق من إنجازات الباري. يتناسل الخلق، فيتناقل وينسلّ فيحلّ وينمو في ذلك الجبّ العميق من الأنا الخلاّقة. هكذا أرى، هكذا أحلل، هكذا أشعر، وهكذا أخلق. والباقي جهدٌ في الممارسة وإصرار على التشكيل والتلوين. أهي النعمة البارقة في سماء الوجدان؟

كل يوم ابتكر زمن ذاتي. أحاول تجديداً استمدّه من مجريات الحياة وأحداثها، مستنداً إلى قدرة فيض واستلهامات لا تنذر بمجيئها. واستمد عزمي من الرغبة المتأصلة فيَّ لمحبة الفن.

محترفي ورشة قائمة على التأسيس والبناء. في كل آنٍ حجر، وفي كل يومٍ مدماك. أشيّد عمارتي الجمالية بالرؤية الاختبارية، بالمثابرة والجهد، بالصبر والرغبة، بالرصد والاقتناص، بالمناجاة والتأمل. لغتي الجمالية عربدة صلاة ونشوة خلاص.

أحترم عملي، أتهيّب مسؤوليتي، أحلم دوماً وأعمل كثيراً، أراجع فأخطو ثم أراكم وأُولد مجدداً ولا أستكين.

المحترف مفاتيح وأروقة

تغيّر مفهوم العمل الخلاّق في عالمنا الحالي، وانتقلنا مع كثير من الفنانين من التشكيل إلى العالم الافتراضي. هذا الأمر ألغى دور المحترف في حياة الفنان وقلّصه إلى حد بعيد. صار الفنان في أحيان كثيرة يعمل فقط أمام شاشة الكومبيوتر. أنت كفنان تشكيلي، حياتك مليئة بالاختبارات والعلاقات الوثيقة بالمواد، والمحترف هو المكان والمساحة التي تعني لك الكثير. كيف تعيش هذه العلاقة مع هذا العالم الحميمي الخاص الذي تنطلق الأعمال من داخله، وتتطور وتتبلوَر لتتم ولادتها وتأخذ مكانها بين الفنون الأخرى؟

عالم تشكيلي، عالم مرئي، عالم افتراضي... الخ. إنه عالم واحد، لتسميات وتصنيفات متعددة، هو عالم الصورة المرئية التي يخلقها الفنان بتجلّياته ومشاعره ومواقفه من الحياة والكون والوجود. لا فرق عندي بين عالم وآخر، وبين تصنيف من هذا الاتجاه أو تسمية من تلك الناحية. تختلف الطرق والأساليب والأدوات والمواد ويبقى المضمون – الجوهر واحداً أحداً: انها خصوصية الفنان الخلاّق الذي يصنع من وجوده العادي كائناً يصبو نحو الألوهة بالتفرد.

عبر العصور والدهور والأيام، وعلى اختلاف الحضارات والتواريخ والجغرافيات، يبقى الفنان فرداً متميزاً في عصره ومجتمعه. تجتمع فيه عصارة حضارته وعصره وبيئته ويقترن به الوجدان الجماعي والارث الحضاري الفني. الفنان مرآة مجتمعه وضمير أمته. انه حامل للوعي الجماعي المكثف وللرسالة الانسانية المنزّهة من الغرائز البدائية الدونية، السامية برقيها الجمالي بما يشبه وهج الالوهة.

لا داعي الى الهلع والخوف على مستقبل أيّ نوع من أنواع الفنون، على أشكالها وتنوعها. يكفي ان نحترم سنّة التطور والارتقاء والتقدم في مجالات العلم والفنون. من الضروري أن يماشي الفنانون كل تقدم يحصل في هذه المجالات، لاستغلال كامل طاقاتها والوصول بالفن إلى بريق جديد ووعي اصيل. سيبقى لكل عصر فني

مكانته، ولكل فنان عاش عصراً محدداً حجمه، ولن يمّحي شيءٌ من صنيع الفن والانسانية. ستظل عصارات المميزين من الفنانين الخلاّقين منارة مشعّة تستنير بضوئها الأجيال، مهما تبدلت طرق الاداء الفني والأساليب وأشكال التعبير.

قد يحيد الفنانون في ظروف معينة عن أساليب سائدة، وهذا مشروع وطبيعي. هي ظروف تفرضها وقائع مجتمعية وتطورات أو تبدلات في المفاهيم والقيم. لكن لا أحد يمكنه ان يلغي ما سبقه، لأنه شاء أم أبى، ابن لهذا الارث حتى لو كان مجبراً على ان يسعى الى تأسيس ارث فني آخر مكمل لمسيرة الحياة المتحضّرة بالفن.

ان استعمال آلة الكومبيوتر كأداة تعبير عصرية، أمر طبيعي في حياتنا الحالية المعاصرة. وعلى الفنانين الشباب استغلاله كأداة مطواعة وعصرية لتعميق لغة البحث الجديد والجاد. ستأتي أيام مقبلة، تستعمل فيها أدوات من انتاج الفكر والعلم الانسانيين لا تخطر على بال بشري يعيش في هذا الزمن. المهم في الموضوع ان يبقى للفنان الذي يحيا زمنه، خصوصية تمثل هذا الزمن وتؤسس للمستقبل. انني اقدّر وأجلّ كل المحاولات والتجارب الجديدة، حتى العبثية منها. ولندع لغربال الزمن والتاريخ يعطي أحكامه لأن لكل عصر فنانيه الذين يمثلونه. ولن ينتهي التطور في الفن وأدواته، ما بقي هناك عقل يفكر وقلب ينبض في صدر انسان موهوب وخلاّق.

أنا ابن زمني وبيئتي ومجتمعي وحضارتي وانسانيتي، أعيشها يوماً بيوم واحاول ان أعبّر عن مكنوناتي بصدق من خلال أدواتي وموادي.

محترفي هو المكان الذي أجد فيه متنفسي. وفيه أعصر نفسي وأستولد ذاتي. أعيش معه وبه حياة الحلم والمغامرة وحالات التأمل والمناجاة. اسكّن به ثورتي، أعلن حريتي، استسلم لرغباتي، استنير بغنى مواده وأدواته، اهتدي بين جدرانه بوعي لا أجده في الخارج. انه الصومعة. انه المساحة: مساحة البحث والحلم والحرية والتجدد...

داخل محترفي أعيش ذاتي في أعماقها القصّية، الذات المتحررة من أثقال السائد والمألوف والمقبول. أحيا بين جدرانه طائراً محلّقاً أتلذذ بثمار جنّة الحلم واللاوعي المنطلقين بمؤازرة اختبارات مهنية تشكيلية تجنح صوب الرؤى المحلّقة.

محترفي الغالي أوجدته قبل ان يصير حقيقة ملموسة. لقد شيّدته من طيش الصبا ولعب الأولاد. أوجدته فكرة بدائية حرّة حين بدأت محاولاتي النحتية الفطرية في الطبيعة العارية بين الأشجار والصخور. محاولاتي الأولى لتعميره بدأتها في «الدبشة»، الغابة القريبة من بيتنا الريفي في قريتي مزرعة يشوع، حيث تمّت الولادات الأولى لتمتمات بوح الفن اللاواعي الآتي من براءة طفولة ووعد موهبة. دارت الأيام وجرى الزمن فتأكدت لديّ حاجة البوح الفني، فكان لا بد من ايجاد مكان دائم لمتابعة العمل بشكل طبيعي من دون انقطاعات قَسرية. حققته في مرآب أول ومرآب ثانٍ من بيوتنا الجبلية وفي الأقبية والجلول والعراء الى حين مجيء الموعد الذي تحقق فيه حلمي نهائياً فأنشأت محترفي الدائم والمستقر في بيتي الذي عمّرته عام 1980. به بدأت مراحل الاستقرار والتخطيط لمستقبل كان ولا يزال واعداً. **لقد بنيت محترفي من صبر الحلم، من أرق الفن وعرق المعاناة. هو الصومعة ومساحة التخيّل، هو فسحة التأمل والانتصار، هو بيدر الغزارة وتفتّح التجارب. هو رحم الولادات وحاضنها. هو المكان – الأمان والأمين على اقتناص لحظات الزمن، زمن الخلق.**

لا قيمة للمحترف كمكان من سقف وحيطان وموجودات. انه الارادة الحيّة المتجددة في قاع الفنان. انه الاصرار والشجاعة والاقدام والتجرّؤ على المحاولة والتجريب والاختبار. باختصار، انه ارادتي واناي المحضونة في هذا الحيّز المكاني المسمّى «محترفاً». الأمكنة لا تعني شيئاً من دون أصحابها المزودين الارادة والعزم والاستشراف. المحترف هو تلك القيمة الفنية المكوّنة من اتحاد المكان مع مزيج المواد والأفكار والحواس والهلوسات والأحلام والرؤى. هو تلك النتائج الناضجة المقطوفة بلحظة زمن والمتأطرة بموجودات حسيّة تسمّى لوحات ومنحوتات وأعمالاً تشكيلية من تجميعات وتجهيزات.

المحترف هو حيّزٌ لقطف لحظات الزمان السحرية المسبوقة بالمناجاة والتأملات، بالقلق والتوترات، بالمحاولة والتبديلات، بالاستكشاف والاحتمالات، بالإقدام والتراجعات، وبالعزم والتقرير والانجازات.

هذا المكان الحميمي والمكوّن الجمالي هو أنا المجبول بعشق الفن ومواده.

الطبع والفنّ نهران يلتقيان في تجربتي

لكل انسان طبعه، فهو يولد حاملاً في جيناته صفات هذا الطبع الذي يؤثر كثيراً في مجرى الحياة، بل يؤثّر أحياناً في اختيار المهنة. الفن رسالة من دون شك، لكنه أيضاً طريقة حياة، ومهنة. ماذا غيّر الفن في طباعك الأساسية وماذا أعطيت أنتَ الفن من خلال هذا الطبع؟

يولد الانسان من مجاهل العجائب والمصادفات، باحتكاك عارض لأشواق كائنين يسعيان لاستكمال مسيرة الوجود. ننوجد من طريق المصادفة، ونصير ضرورة للشخصين اللذين كانا السبب في كينونتنا، ويصبح وجودنا ذريعة لاستمرار حياتهما، وكيانهما رهيناً بما انجباه. يكتسب الاستمرار في البقاء معنىً لذيذاً، تتوقد من خلاله غريزة الاصرار على الحياة والديمومة. ففي حياة الأبناء، تمهيد لديمومة الأهل الأزلية. يتوالد البشر ويتناسلون غريزياً، وحين يصبح الوجود حقيقة، تتحول هذه الغريزة حرصاً عاقلاً يحافظ البشر من خلاله على جَنْيهم الوجودي.

أهلنا علّة وجودنا، من ذرّات جيناتهم نكتسب موروثاتنا الغامضة اللامعة، التي تبلورها مجريات الحياة، وتظهّر خصائصها، وتدجّن طبائعها الغريزية الخام.

لكل كائن حواسه وميوله، رغباته ونزواته، مواهبه وطباعه. تنمو تلك القدرات والخصائص مع نمو الانسان، كلٌ بحسب ظروف تكوّنه البيولوجي والنفسي والتربوي والمجتمعي، وتبعاً لطوارئ الحياة ومصادفاتها ومجرياتها. فإن حافظ الكائن على النعمة الموهوبة له، وادرك سر عظمتها، فقد يحظى بمستقبل زاهر لموهبته.

الطبع الداخلي هو كالشكل الخارجي للانسان، معه يولد وفيه ينمو ويتبدل، تبعاً لمسيرة الحياة والارادة الخلاّقة الموجِّهة له. يؤثر طبع الانسان في مسارات دروب الحياة الشخصية. فالطبع هو الذي يوجّه الميول، ويقرر السيطرة عليها وتوجيهها. انه الطاقة المحفّزة لاستيلاد ميول الفرد.

الطبع، بحالته الفطرية البكر، يعطي اشارات اولى لتوجهات الفرد ومسيرته اللاحقة في الحياة. لكن مع تطور الشخصية وتبلور الموهبة الكامنة، يتشذّب هذا الطبع، فينمو وينصقل ويصير عاملاً مساعداً، موجهاً الموهبة ومحرِّضاً لها. فإذا كان طبع الانسان حراً، حرّض على التجدد والتحرر.

الفن هو لغة الجمال ووسيلة للمناجاة والصلاة لاستنباط البهاء الكامن في طيّات دواخلي. الفن يطهّر نزواتي وصغائري. يجعلني أسمو بإنسانيتي وينقّيني من غرائز هي من طبيعة البشر البدائية. الفن مسلك للتنسك والتأمل والغوص في الذات، استنهاضاً لمكوّناتها المخبّأة. الفن يصقل وينقّي. الفن هديٌ بالحواس ومنارة بالرؤيا. الفن سحر خارق ومحرّض للاستشراف والاختراق.

ساهم الفن، بدروبه المتعرّجة والطويلة، في صقل شخصيتي فأبرز خصوصياتها من خلال الأساليب والطرق والتجارب والأبحاث المتنوعة والمتشعبة والمستمرة. لقد زوّدني قوة الصبر والتمهّل والتمحيص في سبر أغوار المواد والأحاسيس للاضاءة على المناطق المظلمة في الذات.

باختصار: الفن هو طريقة عيش وحياة. انه متنفسي ورجائي. لقد ساهم طبعي الخاص في إغناء لغة البحث الفني لديّ. اصراري الدائم ورغبتي القوية وشغفي بعملي التشكيلي الفني، أعطت كل هذه المراحل في مسيرتي الفنية. رؤيتي الشاملة للفن من خلال مادتي اللون والحجر، جعلتني متعدد البوح الفني. في النحت بالصخر والرخام والخشب، اتّبعتُ مسارات واساليب متعددة ومتنوعة بغية اغناء اللغة النحتية للتعبير عن هواجس فنية وحياتية. اختلط التشكيل بالمعاناة مما جعل عملي النحتي لغة مفتوحة على التجريب والاختبار. وفي الرسم والتلوين، مارستُ كل انواع المواد وركزتُ بشكل خاص على التلوين بمادة الاكريليك بتجريب مُواز لما فعلته في اختباراتي النحتية. هذا المزيج الفني في التجارب النحتية واللونية ولّد «اللوحة المنحونة» و«القماشة المنحوتة» و«المنحوتة الملونة»، وهي انجازات نبعت من اصراري على استنباط الأساليب الجديدة بخصوصية متفرّدة ملوّنة بطبعي الشخصي.

زمن الخلق وزمن التاريخ

للزمن مقاييس مختلفة. هناك الزمن الخارجي المتصل بعقارب الساعة، بالولادة والحياة والموت والفناء والعدم، ثمّ الانبعاث لمن يؤمن بذلك. وهناك الزمن الداخلي، زمن المشاعر المتقدة دوماً والمتوالدة من ذاتها الى ما لا نهاية والمتفاعلة بعضها مع البعض. كما ان هناك زمن الخلق والاندماج الكلي بين الأنا العميقة واللوحة البيضاء أو الصخر الخام. مارون الحكيم حدّثنا عن أزمنتك.

الزمن لص ينسلّ في المساحة الفاصلة بين ولادتنا وفنائنا وفي لحظات يقظتنا ونومنا. الزمن عدّاد لا يهدأ ولا يتراجع. انه شاهد على كل ثانية من تاريخ العدم والوجود، لا بداية له ولا نهاية. لكن لا معنى لهذا الزمن إن لم يرتبط بفعل الإنسان وبإرادته وبتحديد ذلك الفعل في هنيهة معينة من الوجود. انني هنا أقصد الزمن الداخلي للمشاعر الخلاّقة التي تصبغ الحياة بألوان التأمل المشرق الصادر من فيض الأعماق.

زمن الخلق هو الزمن الذي يُغني الفنان. منه يستمد فعل الخصوبة والينابيع والبقاء. وما تراكم السنوات والأيام والساعات والدقائق واللحظات والهنيهات الا تجميع مُزَخّر للزمن الخلاّق المعبّر عن هذا الكم الكبير من مجاري الوقت، والمجسّد له.

زمن الخلق هو الفيض الداخلي المتجمع والمتسرّب من معاناة الأزمنة الانسانية. وهو المعنى الحقيقي لوجود كل انسان خلاّق يشارك الباري في ورشة إكمال عملية الخلق.

الأعمال الفنية والأدبية والعلمية وكل أثر خلاّق، هي الزمن الفعلي والحقيقي الذي يحفر كينونته في ذاكرة التاريخ البشري. ما تبقّى من نهر الوقت الهش يتحول كمّاً من الأرقام وهباءً منثوراً.

أتساءل دوماً عن معنى وجودي فلا أجد الجواب إلاّ في برق أفكاري وبما

صنعت يدايَ. كيف أصنع زمني؟ كيف أحضّر له؟ كيف أصل اليه واقتنصه؟ كيف احققه وأحافظ عليه؟ ومن أين أستمد ثقتي بهذا الزمن؟ وهل هو فعلاً زمنٌ خلاّق؟ أسئلة أساسية، جوهرية، متشابكة، متعاقبة ومتكاملة، سأحاول تحليلها والقيام بعرض قد يلامس اصابة الأجوبة المقنعة والشافية.

حين أعيش حياتي اليومية في مجتمعي، أتصرّف بعفوية الانسان العادي مندمجاً بما يجري حولي، ومتأقلماً مع أحداث وأمور أراقبها، أحللها واراكمها في الذاكرة واللاوعي. يتدفق زمن الخلق من ينابيع الحياة وهو صنيع حلاوتها ومرارتها وافراحها واتراحها وكامل تفاصيلها. الزمن الفني ثمرة عصارة المعايشة والمشاهدة والتأمل والتذكر والتخيّل والاستشراف. استشراف مكامن الجمال والصعود بها درجة درجة صوب الأسمى والأكمل. ولكي ألتقط إشارات هذا الزمن وأحفظها، يتعيّن عليّ أن أكون مستعداً في كل حين للعمل والبحث والاصغاء الى هتافاتٍ مدوّية قد لا تتكرر نداءاتُها. فيصير هذا الزمن واقعاً ملموساً متمثلاً في مجموعة من الأعمال والاشكاليات الفنية الحاضرة لعرضها فتغدو ملكاً لعيون المتذوقين. أمّا من أين أستمد ثقتي بعملي الفني، فهذه مسألة تتعلق بثبات شخصيتي وجرأتي على الاقدام من دون تردد أو خوف. الثقة أولاً بمتانة الأسس الجمالية والتقنية الفنية التي بنيت عليها تجاربي التشكيلية. ثانياً لأنني أعي، بحدسي الرائي، أهمية ما أفعل. قد يشي قولي هذا بشيء من الغرور والادعاء. لذلك ادارك دائماً هذه السقطات فأراجع ما أنجزت منتقداً ذاتي ومُسائلاً نفسي حيال ما يطرحه المشككون والمنتقدون. التردد قد يكون وَهْناً لدى الفنان لكن الشك والتساؤل يُبقيان الأبواب مفتوحة للمراجعة والنقد الذاتي.

المراقبة والتأمل ثمّ التبديل أو إعادة الصياغة والحذف والاضافة والتدقيق في عمل، هي خطوات واجبة ومشروعة تقرر شكل المنحوتة واللوحة ونوعهما، بالحلّة النهائية. لكن الفعل الذي ينهي العمل بشكل قاطع، هو القرار النابع من اقتناعي بأن هذا العمل صار حاضراً لكي يحمل توقيعي. تحين الخاتمة لمسار طويل أكون قد بدأته وصغته فتتم من خلال هذا التوقيع ولادة عمل يصير خارج زمن الخلق، أي داخل زمن التاريخ.

من خلال هذا السياق يجيء العمل الفني حاملاً في طياته أحاسيس ومشاعر أنايَ العميقة ليصير جزءاً من سلسلة النتاجات الفنية المتواصلة المكوّنة لمسيرة الدرب الابداعية اللامتناهية!

الملكة القائدة أمّ أسعد

علاقة الأم بإبنها، عضوية أساسية. في أحشائها يتكوّن ومنها يخرج إلى النور. حبّها له لا ينكسر، لا يذوي ولا يزول، حتى بعد رحيلها عن هذا الوجود.
مارون الحكيم كيف كنت ترى أمّك؟ وكيف تراها اليوم؟ ماذا تركت لك في قلبك، روحك، فنك وحياتك اليومية؟

في أحشائها أنا برعم ينمو، يتكوّن ويتشكّل. جنين مكتمل الصورة. بنتني أمي في ندى أحشائها جسداً كاملاً متكاملاً في أدقّ تفاصيل التكوين البشري. وُجِدتُ في هذه الحياة بين يديها فأغدقت كامل حنانها واهتمامها عليّ. لم تبخل في عطاءاتها تجاهي، علماً بأني صغير العائلة ولي عشرة إخوة واخوات. لم تتشتت عاطفتها ولم يخب حنوّها، مع هذا العدد الكبير من الأبناء والبنات، بل كانت مثال الأمهات المناضلات المتفاخرات بما وهبها الله من خير البنين والبنات، والنعم كما كانت تقول وتعتقد. أمي تلك الصبية التي فقدت أباها وهي جنين في عمر الثلاثة أشهر، ولدت وعاشت يتيمة. صعقتها الحياة قبل أن تولد. لهذا السبب كانت صلبة الإرادة، وفي أعماقها حزن ومرارة. قاسية المظهر في الشكل لكنها شفافة ورقيقة في الجوهر. ذكية، صاحبة موقف متشدد وعنيف أحياناً. لا تساوم على قناعاتها، وصراحتها الفجّة الجارحة تخفي وراءها جرح الحرمان وفظاظة القدر. أمي التي تشرّبتُ من عطفها ودلالها كمّاً من الحنان هو زادي للعمر، أورثتني الجرأة والاقدام والصراحة والانتفاض من عنفوان طبعها.

ربّتنا أمي، أنا وإخوتي وأخواتي، كما تحضن الدجاجة صيصانها وكما تصون اللبوة أشبالها. حمتنا بغريزة المحافظة على الوجود وبحكمة العقلاء. تفانت وعانت معنا ومع أبي ووهبتنا فيض محبّتها الأكبر. رائدة بين مثيلاتها من أمهات قريتها وعصرها، لأن في شخصيتها كاريزما القائدة. هي أمّ أسعد التي حسب الجميع حسابها. هابها مَن كان على خطأ، ولجأ اليها مَن هو في حاجة إلى مساعدة

ونصح. قوية، جريئة، متحدّية، وفي الوقت نفسه حنونة، خدومة، ومتفانية. متطرفة في اقوالها وآرائها ولم تعرف يوماً الحلول الوسط.

كانت أمي تذبح الديك وتخلّف العنزة وتقتل الحيّة والواوي والضبع. لا تخاف من الجنّ، كجدتي. تنوّم القطط تحت رجليها في فراشها. تضمّد الجراح. تداوي الأمراض وتصبر على أوجاعها المتراكمة من تعب العائلة والحياة. كانت تقتل وجعها بالألم. فآلام ظهرها داوتها بـ«لبخات» الخردل المطحون الحارق.

كانت مؤمنة، مُحبّة للحياة وللنزهات والرحلات. انيقة، تعشق الفساتين الجديدة، الجميلة وغالية الثمن. دهمها القدر. قضى على أحلامها بالعيش مرتاحة بعدما كبرت العائلة وأصبحت حرّة متحرّرة من المسؤوليات. اضطرها مرض والدي كي تبقى بجانبه لخدمته ليلاً ونهاراً. أُنهكَت قواها المنهارة مسبقاً وقضت قبل والدي الأعمى والمفلوج.

أتذكرها في المراحل الأخيرة من حياتها، حين كنا أنا وأبي، نعيش معها. كانت تشدّ عزيمتها كي تقوم وتطبخ وتغسل وتهتم بنا نحن الاثنين، متحدية العجز والمرض، متسلحة بالايمان والرجاء وقوّة الارادة. لقد لفظت أمي أنفاسها الأخيرة على يديّ بعدما اصرّت على حضوري. نادتني بأعلى صوتها، وحين وصلتُ أغمضتْ عينيها وأسلمت الروح.

آلمني جداً غياب أمي. انه وجع الفراق الحقيقي عن جذور أجهل أسرارها لكنني أحس حضورها الحي الكامن فيّ. هذه العلاقة الوجودية، المجهولة السبب والمعلومة النتائج، تشعل في أعماقي الأحاسيس الحميمة ذات الأصول الرحمية، وتترك في نفسي غصّات الانفصال عن علة وجودي وأسى الفراق الفج عن أعز الناس وأكثرهما قرباً.

أمي تلك الطاقة الخلاقة، حملتني في داخلها وتحمّلتني ودلّلتني وحرّضتني ونهرتني وحذّرتني وتحدّتني خارجها. زرعت في قلبي بذور المحبة، وفي روحي قوة الايمان، وفي حياتي نعمة الصبر، وفي فني أجّجتْ استفزازاً بخلق التحدي.

واليوم، التفت حولي فلا اجدها. لكنني أراها في كل غيمة. واحسّها من خلال كل نسمة هواء. واشمّها في رائحة الزهر والزعتر والحبق والعطر

والمردكوش وماء الزهر... وفي عرق تعبي. أراها في شتلة الصنوبر التي أهدتني اياها حين ولد ابني البكر سماح. زرعتها بالقرب من زاوية منزلي الجديد وصارت اليوم تزاحم الدار علواً.

استرجع صورتها مستذكراً تراثاً غابراً عشته زمن أمي. ساعدتها في جمع الحطب والحشيش واشعال النار تحت الصاج حين كانت تخبز معجناً معرّماً لجيش من الأبناء والبنات يكفي لإطعامهم مدة أسبوع. كنت أقدّم خدماتي طمعاً بمنقوشة صعتر أو «طلمة قاورما» أو فطيرة سمن وسكّر تحضرها أمي لي بعد انجاز الخبز في نهاية النهار.

عاونتها في دقّ الكبة في الجرن الحجري. وفي دقّ السماق والزوباع وطحنهما. وفي طبخ التين مع الدبس، وفي صنع المربيات، وفي قطاف الزيتون واللوز وزراعة الفول والبطاطا والخضر على أنواعها. عاونتها أيضاً في إطعام الدجاج والأرانب ورعاية العنزة الحلوب مع سواعيرها. ولا افشي سراً حين أبوح بأن كل هذه الأعمال كانت قصاصاً لي في حينه، أنا الصبي اليافع المحب للهوشلة واللعب مع أولاد جيلي.

أمي هي التي علّمتني الحرف الأول من أبجدية اللغة، وأكسبتني مجابهة التحدي في لغة الفن. هي معلّمتي مبادئ القراءة والكتابة على ضوء قنديلها في المساءات الشتوية الباردة وعلى وهج نور الفجر في الصباحات المدرسية. هي المنارة الاولى لتلقيني مفاتيح العلم والمعرفة بصبرها وحنانها ومداراتها. عرفتني عنيداً وصاحب انفة وعنفوان لا يمكنني ان أذهب إلى المدرسة إن لم أكن متمكناً من دروسي. فلذلك كانت تسهر على دروسي وتفيق على إلحاحي لمراجعتها. كنت أبكي عندما يدهمني التعب والنعاس وأنا لم أحفظ درسي بعد. تطيّب خاطري بقولها: عند الصباح يصير ذهنك أصفى، إذهب إلى النوم وستفيق صاحي الذهن. في اليوم الثاني يصحو «أبو بليق»، كما كانت تحب ان تدعوني لأني أصحو مبكراً كالعصافير، وأوقظ والدتي قبل بزوغ الفجر. فتقوم هي من تعبها قائلة: احضر لي «عويناتي»، اي النظارات، لكي أتمكن من قراءة الأحرف.

شكّلت أمي المدرّسة العطوفة في طفولتي ودراستي الابتدائية والمراقبة

المتنبّهة في مراهقتي ودراستي التكميلية والمحفّزة المستفزة لي في شبابي ودراستي الفنية. ارادتني دائماً من المتفوقين فلم أخيّب ظنها في اية مرحلة. لكنها خافت عليّ وعلى مستقبلي حين اتجهت الى دراسة الفن. لأن الفن في نظرها، «لا يطعم خبزاً» كما هو السائد في مجتمعنا. كانت قلقة على مستقبلي تريدني استاذاً موظفاً مرتاحاً من شقاء الأعمال الصعبة كمهنة أبي وأخوتي البنائين. كانت تخاف عليّ من التعب والعرق والجهد الجسدي. لذلك كانت تنصحني بأن لا اقهر نفسي بمهنة النحت لأنها قارنت بين النحت ومهنة ابي واخوتي. كانت تردد على مسامعي جملة لا انساها: «ما لك بهذه الشغلة التعّيبة وانشاء الله يبعت لك بأعمى القلب كي يشتري هذه المنحوتة». تقولها من حرقة قلبها ومن وجعها الدفين وحرصها على راحتي. دعوة، ظاهرها سلبي وفي عمقها مناجاة وتضرّع إلى الله كي يساعدني ويريحني مادياً ومعنوياً.

لم تطمئن ولم يرق خاطرها إلاّ حين لمست ان للفن متذوقيه ومقتنيه. لقد ارتبط ايمانها بما أفعل فنياً بالتقدير المادي وبأنه «يطعم خبزاً».

رحلت الوالدة إلى قدرها، لكن طيفها لا يزال يرافقني في حياتي وفي فني. انها حارستي، أستمد من أفياء حمايتها ايماناً واماناً ألجأ اليهما في الشدائد.

بصيرة أبو أسعد

يلتقط الفنان ما يجري حوله بنظرته، التي قبل ان تدخل عمق الأشياء، تتوقف على الشكل واللون والحجم والمساحة والضوء وكل ما هو حسّي.

فقد والدك حاسة البصر، وكنت، انت، صبياً يافعاً لم تدرك بعد أهمية هذه الحاسة في حياتك وفي فنك. هل تعتقد انك ربما، في مكان ما، تغمر الحياة واللوحات بالألوان الغزيرة المتكاثرة والمتجددة إلى ما لا نهاية خوفاً من العتمة ودَمس الظلمات؟ وما كان تأثير حياة طويلة عاشها والدك وهو كفيف لا يرى، عليك، انت الفنان الهازج بالألوان والحركة؟

كان في ريعان شبابه، وأنا صبي في الثالثة عشرة من عمري، حين دهمه القدر الظالم وخطف النور من عينيه نتيجة لغم في الصخر انفجر في غفلة زمن ونتيجة هفوة خاطئة في الأداء. انه أبي، أبو اسعد، الانسان المتواضع، اللطيف، الظريف، المؤمن، المتفاني، المسالم، المكافح، والمتنسك في صومعة عائلته الكبيرة التي ألقت أعباءها على كتفيه. لكن تفانيه وحبه لابنائه خدّر كيانه ومدّه بنعمة الأعاجيب التي مكّنته من تخطي صعاب الحياة ومشقّاتها.

ولد أبي مع بداية الحرب العالمية الأولى في بيئة كسروانية يسودها تسلط الاقطاعية ويجتاحها الفقر والجوع والحرمان. في هذا الجو من أوائل القرن العشرين عاش أبي حرماناً وجوعاً أبعداه عن أمه وأبيه. ربّته خالته زيني، التي لم ترزق بأطفال. اعتنت به وأطعمته، فنجا من براثن الجوع والموت بقدرة قادر. عرف شظف الحياة وقساوتها فلم ينتعل حذاء في رجليه حتى كبر وصار بعمر الخامسة عشرة. ولم يذق طعم «الملبّس» والحلوى حتى أصبح شاباً.

لم يدخل يوماً إلى مدرسة، فنشأ أميّاً لا يعرف الكتابة ولا القراءة، لكنه كان ذكياً نجيباً، حفظ الانجيل غيباً واستمتع بالقصص والحكايات التي كانت تتلوها عليه أمي وجدتي لأمي. كما أكسبته تجارب الحياة حكمة الفلاسفة وصبر المجاهدين.

تزوج أبي صغير السن. كافح لبناء عائلته. عمل ليلاً ونهاراً ليؤمّن حاجاتها الأساسية. اقتنى داراً وأرضاً في مزرعة يشوع التي قطنها مصادفة مع اخته واخوته الثلاثة. رمم أبي هذه الدار وجلّل حديقتها وزرعها بكل أنواع الأشجار المثمرة والخضر وحفر بئراً للماء كانت مقصداً لأهالي قريتنا يرتوون منها.

أبي مناضل عنيد، غامر بحياته لأجلنا. وما أصابه من صدمات وآلام ومصائب لم يرجرج ايمانه القوي، بل بالعكس، تسلح به حتى آخر زفرة من عمره. وهذا ما ساعده في تخطي مشقّات العمر والعمى والمرض فحمل صليبه بفرح القديسين وصلابة المكابرين!

في طفولتي عرفتُ الدلال على يديه. كان يحملني ويغنجني ويغنّي لي كل مساء لكي أغفو على زنده. تميز أبي بسلاسة طباعه وبمواقفه المتفائلة المشجعة العطوفة. سموح، حنون، كريم، نشيط، شجاع وصاحب مواقف مبدئية في الأخلاق والمناقبية. علّمني الصدق والاخلاص وحب الوطن والتعلق بالأرض. أورثني الظرف والبسمة. تفاؤله في الحياة مكّنه من تخطي صعابها. وايمانه بمشيئة الله زوّده قدرات عجائبية جعلته يسمو فوق المعاناة وقساوة القدر.

لم يعرف أبي ألوان فنّي وخطوطه بحاسة نظره. لكنه أدرك بأحاسيسه الأخرى المتبصّرة شأن ما أفعل. كان مشجعاً كل عمل أقوم به وفخوراً بإنجازاتي الفنية. تعلمتُ منه الارادة والصبر والمثابرة واكتسبتُ من دماثة أخلاقه حسن التعاطي مع البشر وتشربتُ من ظرفه وحكمته قدراً جماً من التأمل والتعمق في شؤون الحياة.

حارب أبي الملل بالصلاة والنوم وقاوم تباطؤ الزمن بالحلم. كان يردد دائماً جملة لا أنساها: «إن لم تستطع فعل الخير فالنوم خير». هادئ يسيطر على أعصابه ببرودة تمكّنه من ان يغفو في أي وقت يريد. وهذه احدى ميزاته المنقذة التي ساعدته في السيطرة على مصيبته وثقل الوقت والسنين. لقد ظُلم أبي في حياته. انه أيوب زمانه. ولد فقيراً وعاش محروماً من رؤية أبنائه وأحفاده، وعلى رغم هذا كله كان مثالاً في الترفع والكبرياء. حرمته الحياة نعمة البصر، لكن الله منّ عليه بفيض البصيرة ونور الحكمة وصفاء الجَلَد والصبر.

أثّرت مسيرة حياة أبي في نهج حياتي الشخصية وفي خفايا مراحل مسيرتي الفنية نحتاً وتصويراً. كنت أراقب ابي حين يتلمس منحوتاتي ولوحاتي كأني به يفكّ رموز الأشكال والألوان بأطراف أصابعه. لست متأكداً إن كان اللاوعي قد لعب دوراً حاسماً في ألواني وفي قوتها وأضوائها وسماكاتها وتقميشاتها، من جراء عمى والدي وفقده حاسة البصر. لكنني مدرك ان في نفسي جروحاً عميقة تشي بشجن كامن زرعته تلك الفاجعة التي ألمّت به وانتشرت في حنايا طبعي وفني وتفشت كالأشعة الخفية في مجمل ألواني.

لا يستطيع أي بشري أن يتملص من الظروف القسرية الموضوعية التي تتحكم في وجوده وفي تفاصيل حياته. من هذا المنطلق يصبح التحليل منطقياً فيتبيّن ان تأثير الظروف يصير محتوماً تنطبع تداعياته في خفايا نفسي، وتالياً في خصائص أساليبي الفنية وأنواع ألواني بتدرجاتها وتوهجاتها.

ان الخوف من فقدان أي حاسة من حواسنا يؤرّق ذات كل بشري وخصوصاً الحواس التي لها علاقة بطبيعة عملنا الفني. مأساة أبي ومعاناته نتيجة انخطاف النور من عينيه، مسألة لا يمكنني تخطيها وتجاهلها أو نسيانها لأنها شكلت منعطفاً حاسماً وعبرة لي لأتأكد من قيمة النعم الموهوبة لنا، التي لا ندرك معانيها إلاّ حين فقدها. كما انها حافز لالتقاط اشارات الحواس في ازمنتها وقطف ثمارها الرؤيوية الخلاّقة.

عشيقتي الطبيعة

كل من يتتبع أعمالك عبر السنوات، في الرسم والتلوين، يشعر من خلال المراحل المختلفة بألوان منوّرة مستوحاة من طبيعة لبنان التي تحب. إنك تعشق الطبيعة وتقول مراراً إنها النبع والواحة التي فيها تستريح وتملأ رئتيك من روائحها ونظرك من ألوانها. تمر مناظرها في مصفاة ذاكرتك، تختزلها، تنتقي منها ما تريد، تغذّيها من مخيلتك وتفيض بما تمليه عليك احاسيسك المتفاعلة في داخلك. ما هي أشكال الحوار التي تدور بينك وبين الطبيعة؟ أخبرنا عن العلاقة الحيوية التي تربطك بها.

بحكم نشأتي في قرية جبلية وفي زمن وبيئة كانت فيهما حياة الانسان ملتصقة بالطبيعة وعناصرها، ولدت وعشت في أواسط القرن العشرين حين كانت غالبية الناس تعتاش من زراعة الأرض وتربية المواشي. لذا ترعرعت في طفولتي قريباً من الأرض والتراب والحيوان. وهذا ما زرع فيّ عشقاً وحنيناً إلى الطبيعة وينابيعها الدافقة، وحماسة مستمرة لكي أجدد رؤيتي بالتأمل والاحتكاك اللصيق بعناصرها ومكوّناتها من تراب وماء وشجر وغيوم وأمطار ورياح. أراقب فصولها وأتمتع بتبدل ألوانها في تدرجاتها المنطبعة على سحنات الجبال والأشجار، الجلول والحشائش، التراب والغيم، الرمال والأمواج، الأنهار والبحار، الشروق والغروب، الأنوار والظلال، رفوف الطيور وقطعان المواشي، الزواحف والحشرات، الفراشات والعصافير، وكل نبات وجماد...

انني أعشق الطبيعة لذاتها أولاً وأُسحر بلا نهائية تجددها وتبدلها، تالياً أمجّدها لكونها المحرض الرئيسي على التأمل والاغتناء بجمالاتها.

الطبيعة هي المعلّم الأول للفنان الملّون، لأنها بحر لا ينضب في استيلاد التدرجات اللونية المتجددة والمتغيرة في كل لحظة وآن، وفي تنوع الفصول ومناخاتها المتبدلة.

الطبيعة وما يحيط بها تصبغ حياة الانسان بخصائصها. تنطبع مؤثراتها على شكله الفيزيولوجي ونشاطاته العضوية وطاقاته الفكرية والثقافية والفنية. تتحكم الطبيعة برؤيتي الفنية. تلتقط عيناي اشعاعات ألوانها التي تغمرني، وتتشبع روحي من جمالات تناسقها وانسجامها وتوازنها وسيطرتها، وتنحفر هذه الاشعاعات اللونية في داخلي. تخرج من ذاتي مشبّعة بمفاعيل اللاوعي، وخصوصية رؤيتي، وكيفية طرحها على المساحات البيضاء، بأساليب مختزلة، مبسّطة ومتحررة من وظائف الأشكال وواقعيتها. تلتصق الألوان بمحاملها، محمّلة بما تنسجه مخيلتي وأحاسيسي الباطنية من توهجات وايهامات ورموز وايحاءات. مكتنزة بما يوحيه تلاصق تلك التبقيعات اللونية المتقاربة. مدعّمة بما تعطيه حركة الألوان واتجاهاتها المختلفة، من ديناميكية. أفقية أكانت أم عمودية أم لولبية ودائرية.

تخلق حركة الألوان الداخلية والخارجية، بتزاوجها وتمازجها وأجوائها الجمالية، المناخ التشكيلي المطلوب، فتتوضح اشكاليته ومعانيه.

ان تأثيرات الطبيعة الخارجية مضافةً اليها خميرة مخيلتي، قد تولد تفاعلاً سحرياً يحتمل ابتكار أجواء لونية تشي بالجديد. هذا الابتكار الجديد يستفزّني ويحرّضني لأجد، مجّدداً، حواراً آخر بيني وبين الطبيعة، وبيني وبين ألواني وذاتي. هذا الحوار يتمّ مع الطبيعة بشكل دائم ويأخذ أشكاله ووجوهه المتنوعة، من تعاطيّ المباشر مع مكوّناتها المحسوسة أو المتوهمة الخفية، ومن تعمقي المتمعّن في الجوهر والحكمة لتلك الطاقة الخلاقة المتجددة والمتحكمة بأقدارنا وبالعناصر والفصول والمناخ...

حين أحاور الطبيعة أحاور ذاتي وجدّية تأملاتي وصدق رؤاي. عمقها هو الذي سيثمر في تجربتي اللونية من خلال هذه العلاقة الحوارية الحيوية. هذه الاطلالة الحوارية في مسرح الطبيعة والكون، اؤديها بتبصّر حالم. انها مناجاتي لخالقي من خلال طبيعة مخلوقاته. كما انها محادثة الذات للذات. ولا ينقذني من فلك اناي سوى حوار ابتكره مع حقيقة اسرار الطبيعة وخفاياها.

أحياناً تنبع الحكمة من أبسط الأمور وأسهلها واقربها! ومَن أقرب اليّ من الطبيعة؟ بشرط ان أعرف كيف أرنو اليها وكيف أبصر ما وراء ظواهرها. وكيف أصبغ تلك النظرة بفرادة طبعي وخصوصية موهبتي.

مختبر الحرب

الفنان ابن مجتمعه وبيئته. يتفاعل مع كل ما يحدث حوله، فيظهر هذا التفاعل في أعماله بطريقة أو بأخرى. عندما يتعرض لبنان لـ«خضات» قوية ومباشرة كالحرب والانفجارات والاغتيالات، تمتنع عن تتبع الأخبار، إلاّ في ما ندر. أنت الذي يواظب بشكل دائم على متابعة الأخبار المتلفزة وقراءة الصحف اليومية والتحليلات السياسية والفكرية، تترك البيت وتلجأ إلى محترفك منقطعاً عن الخارج بشكل طوعي. كأنك بذلك تحمي ذاتك من اليأس والاحباط. أمّا في حال تعرّض أيّ بلد آخر في العالم لكارثة أو ثورة أو انقلاب على نظام، فأنت تتابع ذلك في أدق التفاصيل وتعود الى محترفك بشكل طبيعي، بعكس ما يحصل عندما يكون الحدث في الداخل اللبناني. انطلاقاً مما تقدّم، كيف تعيش الأحداث من حولك؟ كيف تتفاعل معها؟ وما مدى تأثيرها في عملك الفني؟

على مدى السنوات والمراحل التي مارستُ فيها عملي الفني، كنت ولا أزال متابعاً لمسيرة الحياة التي أعيشها بكامل أحداثها ومفاعيلها. أحيا يومي إنساناً عادياً، متفاعلاً، متمعناً ومتأملاً سحر الحياة: الضوء الذي يطلع كل يوم. تفاصيل الزمن ودقائقه. جمال الطبيعة وتبدلاتها تبعاً للفصول. قدرية المفاجآت المباغتة، المفرح منها والمحزن. التخيلات والأحلام التي تخطر لي في برهة لامعة من زمن. لذّات الدنيا وآلام الدرب واستشراف المستقبل. إيماني، كفري، ضعفي، قوتي، ترددي واندفاعي. وكل ما أفعل...

أعني مما تقدم، انني أقارب عملي الفني بروحية المتفاعل مع مشاهداته وأفكاره وتأملاته. أي أن ما انتجه من أعمال فنية لا يشكل صورة مباشرة أو تسجيلاً تاريخياً واقعياً توثيقياً، إنما هي أعمال تتنفس من مسام رؤيتي ونبض روحي، وتهدف الى بثّ الموجات الجمالية المريحة أو المتوترة. لغرابة المصادفات، تزامنت بداية مسيرتي الفنية مع اندلاع الحرب في بلادنا عام 1975 التي تركت وقعها الصارخ

والصاعق في حياتي وفني. تميزت تجاربي الفنية بتأثيرات هذه الحرب القاسية والمدمرة، وبانت في مجمل مراحل هذه التجارب، باختباراتها وموادها وأساليبها. في النحت، والحبر الصيني، والمائيات، والتصوير بالزيت والأكريليك، واللوحة المنحوتة، والقماشة المنحوتة. أبرز هذه الأعمال هي:

* في الحبر الصيني، لوحة «نهر الدم» المرسومة عام 1978.
* في المائيات، لوحة «لملمة الدماء» الملونة عام 1988.
* في النحت منحوتة «الانفجار»، من الرخام وأوائل الشظايا المجمّعة من بدايات الحرب اللبنانية والمنجزة عام 1977. ومنحوتة «بيروت يا قمر الأحزان» المشغولة عام 1982، «وأرض السلام» المنفّذة عام 1991 وهي منحوتة نصبية ضخمة تتربع على مدخل بلدتي مزرعة يشوع.
* في التلوين، لوحة «لبنان المصلوب»، زيتية رسمتها عام 2005، ولوحة «بيروت مدينة مجروحة» بالأكريليك، عام 2006.
* في اللوحة المنحوتة، «الأرض المباحة» و«الأرض المحروقة»، نفذتهما عام 1978.
* في القماشة المنحوتة، «أرواح الشهداء» نفّذتها عام 1986 و«بيروت حلم الشرق» انجزتها عام 1991.

اشتعلت الحرب، ولم يكن أي لبناني يعي عواقبها وامتداداتها القصّية. صارت الحرب جزءاً من حياتنا اليومية. تآلفنا مع قسوتها، وتأقلمنا مع تداعياتها. ما يؤسف له ويدعو الى الاستنكار والاستهجان، ان تصير انحرافات الحرب قواعد تتحكم بمصائرنا وبأنماط عيشنا! لكن ما العمل حين تقسو الأقدار وترمينا بلعناتها؟ فلا حول ولا قوة لنا إلاّ الصبر والجلد على نوائبنا.

حين اندلعت الحرب اللبنانية، كنت شاباً طريّ العود والتجربة. لذا فقد قيّدت الحرب نهج عملي الفني، وطبعت بقسوتها عدداً كبيراً من تجاربي الفنية على مدى ثلاثين عاماً.

واليوم، أراني أحاول التملص من عدميتها الحاقدة، وأسعى للهرب إلى ضفاف الأمان، مشيعاً آمالاً مستعصية، مستمَدة من حبّي لأرض بلادي وطبيعتها،

وتعلقي بإرث استقيته من نمط في التربية تنشأتُ عليه. أعمالي الجديدة أمثلة تبرز تلك النظرة التفاؤلية التي تخلق الرجاء فتوطده، وتفتش عن نوافذها الجمالية المضيئة وتنشرها.

أما ردود فعلي تجاه أحداث تجري في وطني وأخرى تدور في بلدان بعيدة أو قريبة، فيمكن نسبتها، ربما الى اشتداد وطأة المعاناة بأشواطها المديدة، وإلى التحجّر في المشاعر حيال الويلات واسالة الدماء، وإلى الاستخفاف بالموت واستسهاله، في زمن عممت التكنولوجيا العصرية، البث المباشر على الفضائيات التلفزيونية، وعبره ثقافة العنف والقتل.

في الماضي كان الفنان يتخيّل الأحداث والمآسي أو يعيشها بشكل جزئي من خلال تجاربه الشخصية الواقعية باللحم الحي. أما اليوم فقد صارت الويلات والكوارث الطبيعية والموت، أموراً مألوفة يتابعها الناس في أقطار الدنيا كافة. تحوّل التعذيب والموت والابادة والدمار محض مشاهد، مثيرة وفجّة، من أفلام يراها الناس بأعصاب باردة خالية من ردود فعل بحجم عنفها وقهرها.

مع ايماني بفاعلية الفن ونشره للذائقة الجمالية، فإنني مقتنع أيضاً بأنه فقد وقعه الدراماتيكي المؤثر في مشاعر المتذوقين في عصرنا الحاضر. فبعكس ما كانت الحال عليه في عصور خلت، حين كانت أعمال الفنانين، من نحت ورسم، تشكل أيضاً حوافز تحتمل تأجيج أحاسيس القلق في ضمائر الشعوب وحكامها، أضحت صورة الواقع المنقول مباشرة من قلب الحدث، المصدر الأول والأكثر فعلاً في تحريك المشاعر وتكوين الرأي العام.

الفرق كبير بين أحداث وجودية دامية تحصل لنا في بلدنا، يكون وقعها مدمراً قاهراً، وبين مشاهد العنف وثورات الطبيعة التي نراها على شاشات وهمية تنقل الينا الصورة المباشرة التي تبدو كأنها حبكة ناجحة من فيلم سينمائي ابتكره مخرج بارع ليصدم انسانيتنا ويفعل بنا. لكن وقع هذه الصور والمشاهدات يزول مع نهاية عرضها.

الفرق شاسع بين ما تعيشه بجسدك حين تحمل روحك على كفّك وأنت تفرّ مع عائلتك من أتون القذائف ونيران الحرائق الى ملاجئ وحصون نعتقدها آمنة،

لتقينا من أقدار داهمة. حينها يكون الشعور حقيقياً لا يحتمل لغطاً تنظيرياً أو سرداً وعظياً. في مثل هذه اللحظات لا أفكر في الفن والجمالية، بل تنحصر نزعتي الوجودية، في غريزة البقاء. ومع انتهاء المحن وضغط الأخطار المميتة، تكون الذاكرة قد كدّست ما خلّفته الأحداث من معاناة حقيقية، فتخرجها وسائل الفن سيلاً من صور وأشكال تجسّد صدق ما يصدر عنّي.

يصبح الفن حقيقياً حين يصدر عن معاناة وتأملات صادقة نابعة من مجريات الحياة بأحداثها المفرحة والمقلقة، مشكِّلةً بذلك المصدر الأول والأخير لأدائي التشكيلي وعمقه.

في الأوقات العصيبة التي كانت تمرّ بها بلادي، كنت أحمي مشاعري من دموية الحرب وعنفها، وما تخلفه من هلع واحباط وقلق وقرف واشمئزاز وسوداوية، بالتوجه الى محترفي للاحتماء بأجوائه الآمنة ومواده الغزيرة المعطاءة.

في محترفي ألوذ بذاتي، بوحدتي وتأملاتي، وأذرف دمع المواد أحجاماً وألواناً تقطف لحظات القلق الحقيقية، محمّلاً إياها صدق البشائر الجمالية الخلاّقة.

بالفن أحمي وجودي في زمن الشدائد. بالفن أناجي خالقي في أوقات الصفاء. بالفن أتوق الى قطف ثمار مشاهداتي ومعاناتي لنشر الجمال. بالفن أحتمي، وبالفن أحيا.

مسيح لوحتي والمنحوتة

تتحدث دائماً عن «الخالق» كمثال وتقول «الفنان هو شريك الله في الخلق». كيف ترى هذا الخالق؟ كيف تتحاور معه من خلال عطاءاتك الفنية؟ ما هي علاقتك بالمسيح الذي يطل مرّات كثيرة بإشارات منورة في أعمالك؟

معضلة الخلق والوجود لغز حيّر، عبر التاريخ وفي كل زمان ومكان، عقول الفلاسفة والفنانين والأدباء وكل حيٍّ عاقل على هذه البسيطة. من يكون هذا الذي اوجد ونظم وسيّر كلّ كائن حيٍ، وكل نبات وجماد؟ هل تمكن معرفته؟ هل يمكن الوصول اليه؟ وهل هو طاقة واحدة يمكن تصوّرها؟

سؤال واحد متشعب في استفساراته، احاول الاجابة عنه بالايمان مرّة، وبالعقل مرّة أخرى. بالايمان استسلم، طوعاً، للإيمان، فأرتاح من كابوس التساؤلات الوجودية، وأسلّم قدري للنص الإنجيلي ولتعاليم الأنبياء والرسل. أمّا بالعقل فيتحول الوجود وأسراره عبئاً يربك أفكاري ويقلق حياتي. لذا اعتمدت التوفيق بين ما يسهله الايمان وما يثيره العقل. التجأت الى الفن ملاذاً، أصل من خلاله الى ايجاد التوازن والامان الداخليين، وابتكار الحلول الشافية والمقنعة لمعضلات الشك والايمان.

في الفن أشارك الله سحر خلقه، وبه أسعى لاستحضار الخالق لمعرفته والوصول اليه. أجده في كل ما أبصر من مخلوقات وطبيعة ونور وظلمة. وفي كل ما ألمسه، وأتذوقه، وأتنشقه، وأسمعه، وأتخيله. أوظف تلك الحواس – النِعم، وأطبع مؤثراتها، نقشاً تشكيلياً، أحوّلها في الفن الى ألوان وخطوط، وأشكال، وأحجام، وصور، ورؤىً، بهدف اشاعة الجمال ونشره.

عملي الفني تأملات تعبق بنشوة المناجاة. وحواري مع موادي، افكاري، مشاعري، اختباراتي، تجاربي، وتنويعات اساليبي التشكيلية، ترمي كلها الى سبر مكامن الجمال، توصلاً لتلمس وجهٍ من ملامح صور الخالق.

عملي الفني سعيٌ دؤوب لإيجاد الامان الداخلي باستلهام مخلوقات الباري. اعصر ذاتي، في الفن، وافرّغ كل النزوات والرؤى، وابدد كل حالات اليأس والتشاؤم.

عملي الفني رافعة تبدد القلق وتنشر السلام، وتسمو بي الى مستويات روحانية تتوازى متناغمةً مع أفعال الصلاة والتعبد والايمان.

عملي الفني هو دربي نحو الله، به اتأكد من حضوره واستوعب جزءاً من عظمته.

عملي الفني هو السراج ورائحة البخور ورنين الأجراس. هو صلاتي. هو اشعتي الكاشفة خفايا الجمال وأسرار الخلق.

عملي الفني بتعدد اختباراته وتشعباته، يقودني الى فهم أسرار الوجود بمراقبتي المتأنية للكائنات والطبيعة، واستمتاعي بكمال تفاصيلها، وروعة تكوينها. الوصول الى الله يستوجب تمعّناً وتأملاً في روائع خلقه وسخائه بخيرات الأرض ونعم السماء. عندئذ ندرك حجم عطاءاته الغزيرة، ويتكشَف لنا كم هو كامل متكامل في الكل والاجزاء. انَه الحق وواهب الحياة والنور.

أحياناً، وفي لمعة زمن، يطل وجه المسيح في عمل من أعمالي من دون مقدمات مسبقة. يفاجئني حضوره الخاطف. يتراءى لي كسراب يتأرجح على وجه الحجر، وعلى سطح القماش. التقط اللحظة. أظهره وأثبّته بالشكل، بالحجم، باللون، بالخطوط، وبالملامح التي تجسد الرؤيا.

في الشدائد وحالات القلق والشك يحضر المسيح، في عملي الفني، مكفكفاً مجاري الدمع، حامياً من الأخطار، ومحيياً الرجاء.

المسيح رمز التضحية والفداء، شكّل موضوعاً اساسياً في الفن الديني. أما في أعمالي فهو نموذج للشهادة وحارسٌ وفيٌ قادر، أحتمي بشفاعته ورعايته. مسيحي يلغي أو يمسح، بشهادته وفدائه، كل الأفعال غير اللائقة بإنسانية البشر. مسيحي هو رمز للتسامح المخفف لمعاناة المتألمين والخطأة.

من لمسات ريشتي المخضّبة باللون والضوء، ومن ضربات ازميلي الجارحة المفرقعة للصخر فتاتاً وغباراً، أرسم وأنحت، احياناً، الفادي، إلغاءً لليأس المدمر.

المسيح وجه الله المتأنس. هو الرفيق والصديق. هو المنارة والقدوة، وهو المحبة الخالصة المخلِصة.

أعمالي الفنية، أناشيد وترانيم وقصائد، توازي بوقعها صلاة الأتقياء. بها أتوق الى خالقي. اخترع ابتهالي من رذاذ الألوان، وفتات الغبار وضباب التخيُلات وعمق التأملات والرؤى.

الحدس والعفويّة طاقتان تقودان مشاعري

عندما تقف أمام الصخر الخام أو القماشة البيضاء وتقلع في رحلة الخلق، بثبات المختبر الناضج لجميع المواد، لا تستطيع أن تعلم مسبقاً الى أين تقودك أحاسيسك وأفكارك واختباراتك. وقد قلت مراراً إنك تفاجأ في بعض الأحيان، عندما تتأمل عملك للمرّة الأولى، كمشاهد بعد أن تنتهي منه. أنت الممتلك التقنيات الفنية لا تفكّر، عندما تعمل، في كيفية استعمالها، بل ينصبّ اندفاعك واهتمامك على الخلق دون الغوص في مفهوم التقنيات التي تأتي في وقتها، بصورة أوتوماتيكية، كلما احتجت اليها. ما هو دور المصادفة والعفوية في مراحل تكوين عملك الفني؟ وهل تتدخل لتسيّر هاتين المصادفة العفوية أم تتركهما على سجيّتهما؟

نولد من مصادفات الزمان وعتمات العدم ومتاهات الأزل. فجأةً، يصير وجودنا حقيقة مادية، فتبدو حكمة الخلق وأسرارها كأنها قد خططت، عبر الدهور، لفعل كينونتنا.

وُجدت ولم أعرف كيف ولدت! كبرت ولم أعِ نموّي الجسدي! لكنني ادركت، في مراحل لاحقة، حقيقة وجودي، حين وعيت كياني المادي والجسدي، وتنبهت الى حضوري كمخلوق، له أهميته، انوجد من غموض عجائب التكوين والخلق.

لكل عملية خلق مراحلها واسرارها. في ما يخص الخلق في العمل الفني، يسبق الحلمُ الواقعَ. تتسابق التخيلات للتظهّر حقائق فنية في لوحات ومنحوتات. لذا تأتي النتائج الفنية مفاجئة لصانعها، لأن للوجود وقعاً حقيقياً يختلف عن سراب الرؤى والافكار وضبابيتها.

أقرّ، من خلال أدائي للعمل الفني على أنواعه، بأني أستسلم، طوعاً، لمشاعري الحقيقية، وأعمل بتوجيهات أحاسيسي الاولى والمباشرة لكل ما اتأثر به في حياتي كفنان، وبكل ما يدور حولي كإنسان يعيش زمنه. من هنا

يمكن فهم المفاجأة التي أشعر بها حيال نتائج ما أقوم به، لأنني لا أخطط مسبقاً للتنفيذ بدقائقه الحلمية والفنية والجمالية، بل أتخذ من الحالة أو الاشكالية الفنية، جواً عاماً، أنطلق منه لأسير في العملية التشكيلية من دون تصورات مسبقة تقلّص نبض الخلق الحقيقي. أحصر ذاتي في ذاتي وفي حقيقة الشعور وشفافيته خلال اللحظة الزمانية المحددة بظروفها ومعطياتها وتأثيراتها. أنطلق في عملي حراً متحرراً من رهبة النتائج المتوقعة. أدع حدسي، الموجه لمشاعري الطازجة، قيادة عملية التكوين والتلوين التشكيليين. أدخل أجواء العمل متسلحاً بخبراتي وقدراتي التقنية الفنية، ثم أبدأ بقطف الضربات واللمسات، النابضة البارقة، الكفيلة بإنجاح العمل وانهائه بالحلة الجمالية المطلوبة. عند هذا الحد، أصل الى قمة الانتشاء من الابتكار الممزوج بالرضى، مصحوباً بالانبهار والاستغراب والمفاجأة المحيّرة.

لكل عمل فني أنجزه، ثمة مبررات، فكرية، حلمية وفنية، لإنتاجه. لا يولد شيءٌ من الفراغ والعدم والمصادفات المجانية، بل يتحدّر من أسباب ومقدمات وتحولات، ترتبط بطبيعة شخصيتي الفنية، وتفاعلي مع أحداث الحياة وتأثيراتها فيَّ. اما العفوية فهي نعت إيجابي ضروري لنضارة نتاجاتي التشكيلية في الشق الاولي من مسيرة تنفيذها. بعدها تتدخل قدراتي ومعارفي التقنية والفنية والجمالية في سير العمل للسيطرة على طريقة ادائه وتوجيه مساره، ومن ثم ضبط عناصر ومبادئ تأليفه: من نقاط، وخطوط، وأشكال، وألوان وتقميشات، ومن توازن، ووحدة، وانسجام، وسيطرة، وتضاد. عند هذا الحد تكتمل عملية الخلق. يظهر العمل في تكوينه النهائي محمّلاً عفوية طرّية، ومدعماً بخبرات تقنية تشكيلية ورؤىً حلمية، تصبغ ولادته بخصوصيتي الفنية المتقدمة، والمتحررة من جمود الاساليب الاكاديمية الهامدة.

كل جديد يفاجئ. يطرح الأسئلة الجوهرية المواكبة لإطاره الجمالي. ينقل هذا الجديد مشاعري ورؤايَ التشكيلية الى الآخرين. يؤدي في مضمونه الى تأثيرات مباشرة، متفاوتة في فعلها، على عيون المتذوقين ومشاعرهم.

أعمالي الفنية لا تسعى قصداً الى افتعال الغرابة، في الأطروحات المستجدة، بل يتم ذلك في سياقٍ فنيّ ملتزم ما تمليه شخصيتي، بخصائصها الباحثة عن فرادة خصوصية، للتفتيش عن أعمال تهيم في سراب الأحلام، ومتاهات اللاوعي، لالتقاطها وتثبيتها واقعاً حياً ملموساً ومرئياً.

حكايتي مع النحت

النحت لغة بدأتَ تستكشف معالمها وأنتَ صبي لم يدرك بعد نعمة الموهبة المتغلغلة في مسامه. تمرّستَ فيها وتعلّمتَ أن تحاكي الصخور، كلٌّ بلهجتها، بنبرتها، برنّتها، بقسوتها، بطراوتها، بعنادها، بخضوعها، بكل وهج حضورها وبكل الشوق الذي في داخلك، إلى ما ستؤول إليه بين يديك.

تستعمل الأدوات البدائية كما تستعمل الأدوات الكهربائية المتطوّرة، لكنك في معظم الأحوال تدخل على الصخرة من دون مجاملات ومن دون تخطيط مسبق. حدسك، مخيلتك، أحاسيسك تقودك لتنسى الزمان والمكان وكل الغبار المتراكم فوق ثيابك وشعرك ورموشك. تتلمّس حجرك في الغيمة البيضاء الكثيفة ولا تخطئ، كأنك تحفظ في ذاكرة يديك كل التفاصيل. هل تعيش فعلاً حالة انتقالية عندما تنحت؟ هل تكون فعلاً في عالم آخر؟ صفه لنا.

تعاملتُ مع الازميل منذ الصغر. شغفتُ به كما أحببتُ ألعابي. حجز الازميل الصغير، الذي سرقته من عدّة أخي المعمرجي، مكاناً بين مقتنياتي الطفولية من بلابل خشبية مزركشة وكُلَلٍ بلّورية متعددة الألوان. خبأته مع سيارات وشخوص معدنية وطائرات بلاستيكية وورقية في خزانة خاصة بي.

شكّل هذا الازميل لعبتي وكنزي. لم أكن أدري بادئاً معنى هذا التعلق بقطعة من الفولاذ يمكنها اختراق سطح الحجر وحفره. ولم أكن أعي تأثيرات تلك الاداة العجيبة في مسار حياتي وتوجهاتها المستقبلية، بل كنت أحسّ فقط بانشداد شغوف بها كالتحامي الحميم بباقي ألعابي.

لا أنسى مشهد صخر ضخم «ينفلع» بمهدّة أبو يوسف أو أبو جورج أو معلّم حبّو ومعلّم عبدو. هؤلاء هم المقلعجية الذين راقبتهم منذ طفولتي وهم يستخرجون حجارة البناء من مقلع أخي منصور. كنت طفلاً بعمر العشر سنين أو أقل، أحمل كتابي، أطالع دروسي حين كنت أراقب احتيال هؤلاء

الجبابرة لانتزاع صخرة عملاقة من باطن الأرض. يفرّغون التراب من حولها، يقدّرون قياساتها، يدرسون طبقاتها وحلولها (الحل هو الخط الفاصل بين طبقة جيولوجية وأخرى في الصخر)، لمعرفة كيفية زرع الاسافين الناجعة. إسفين «الشقل» هو الحفرة الافقية التي يكوّرها المقلعجي بواسطة «القطاعة» وهي كناية عن مطرقة رأساها كالازميل تنقر الصخر فتكوّره مكاناً، تدخله الاسافين افقياً أو عمودياً، لفسخه وفلعه قسمين يفصلهما المقلعجي بواسطة المخل الضخم. ومن ثم يقطعهما شقفاً متفاوتة الأحجام والقياسات بحسب استعمالاتها. الكبيرة منها للأعمدة والعتبات، والمتوسطة للزوايا وبراطيش الشبابيك والأبواب (البرطاش هو العتبة السفلى) والصغيرة لحجارة مداميك الحيطان السالكة. عملية التقطيع هذه كانت تشدّني وتدهشني وبشكل خاص حين ينحت المقلعجي مقشاً (ثلم في الحجر بعرض خمسة سنتيمترات على الأكثر) بقطعة الصخر الكبيرة، بواسطة ادواته المختلفة: يبدأ بالبيك وهو اداة نحت كالمطرقة الكبيرة، مروّسة من جهتيها، وينهي بالقطّاعة. بعدها ينهال المقلعجي بتوجيه ضربات مهدّته الثقيلة (تصل احياناً الى خمسة عشر كيلوغراماً) المتوازنة، القوية، الصائبة، والموزعة بشكل دقيق متراصف على طول المقش. في ثوانٍ معدودات وبضربات قليلة لا تتعدى العشر، ينفلع الصخر قسمين. يكرر المقلعجي عمله على القطع الباقية لتصبح حجارة متقاربة الحجم والقياس والسماكة. بعدها تأتي عملية التصفيط (أي تقليل السماكات) بواسطة الشاقوف. بعد ذلك يذهب الحجر إلى البناء فيقصبه ناحتاً أطرافه وموازياً خطوطه. يشقع البناء هذه الحجارة لتتحول إلى بيوتٍ عادية أو قصورٍ ذات قناطر وشبابيك منحوتة ومزينة بعناصر زخرفية.

لقد استرسلت في شرح عملية استخراج الصخر وتقصيبه وبنائه، لكي الفت النظر إلى أهمية مهنة شاقة اصبحت من الماضي، ولكي اؤكد محاكاتي للمادة الصخرية منذ صغري ومدى تأثيراتها في توجهاتي الفنية في ما بعد. لقد شاهدت قساوة مهنة النحت، وشهدتُ عليها، وتمرست بها، وخبرت اسرارها واسرار صخورها، بقساواتها وطراواتها، بنبراتها ورنّاتها، بألوانها وعروقها،

بعنادها ورضوخها، بتقميشاتها ولمعانها، بحركتها وجمودها... ولكي أبيّن أيضاً مدى شغفي العميق، منذ الطفولة، بمواد الطبيعة من تراب وصخور ونبات، ومدى ارتباطي الوثيق بها، كمواد جامدة، عمّقت التصاقي بالفن وحفزتني للمضي في دروبه الوعرة اللذيذة.

في بداية الطريق كان الفن ولعاً ساذجاً، حائراً، ارتبط باللعب وببراءة الطفولة، وتحول في محطات لاحقة الى تعلّق هادف وأكيد يستمد قراءاته الاولى من معارف بدأت تتكوّن وتتوضح من مرحلة النضج والالتزام. صار الفن قضية كيانية تملّكت وعيي الوجودي، فحرّضتني وحفزتني ودفعتني لسلوك الدروب والمراحل الفنية المتلاحقة، المتشابكة، المتلازمة والمتكاملة، فوصلت إلى ما توصلت اليه من انجازات.

محاولاتي النحتية الاولى تلازمت مع اللعب بواسطة ادواتي البدائية والمواد الطبيعية. تابعت المسيرة متعمقاً باستعمال الادوات الكهربائية والمواد النحتية المختلفة كافةً.

أَلِفْتُ معشر الصخر والرخام والخشب والطين. تطورت نظرتي إلى الفن. تشبثت به اكثر واكثر. صارت حياتي جزءاً من الفن وتحولتُ ناسكاً في معابده. وأضحت المنحوتات واللوحات وكل الأعمال الفنية ترانيم تناجي الخالق وتصبو نحو آفاق روحيّة نقيَة. لم تعد الأعمال محض افعال ماهرة بحضورها ودقة تنفيذها وبراعة اساليبها. ولم يعد النحت حفلة مصارعة بين النحات والمادة الصخرية الخام، بل غدت المنحوتة فعل خلق بديعاً. وما المهارات والتقنيات العالية سوى دعائم تقوّي الاطروحات الجمالية الخالصة.

في هذا الجو العابق بسحر الجمال، تأخذني المخيّلة إلى عوالم خياليَّة يختلط فيها الواقع بالحلم محوّلاً المادة الهامدة إلى كائنات تهتزّ في عروقها نبرات الحياة. اتناول قطعة الحجر الصلب فتغدو بين يديّ كتلة من الطين اللزج الطري المطواع. تنتقل الأشكال والأحجام من المخيّلة توّاً نحو المادة الصلبة المتحولة، بفعل الحدس والعفوية وبمساعدة الأدوات والتقنيات واليد الخبيرة، منحوتات تضج بفيض الأحاسيس. عيناي ويداي تقود الاحساس الى

نهاياته المضيئة غير آبهة بمعوقات المحترف العابق بالغبار والضجيج، ضجيج أنّات الصخر، وتشظّي جموده المتحوّل إلى غيوم كثيفة من الغبار الأبيض الحاجب للرؤية. في هذه الحالة يتخدّر جسدي ويستيقظ مارد الخلق فيّ متحرراً من أسره وسباته ليوقظ بدوره الحياة في صخرة هامدة منذ دهور.

كل نقرة من ازميل او ضربة من مطرقة او خَزْقٍ لآلة، ترجّ كيان الصخر فتوقظه من عدمه وتقوده الى ملاقاة الضوء. يشقّ الصخر طريق وجوده، مانحاً جموده كياناً آخر متحركاً في فضاءات العقول والاذواق والمشاعر.

خدوش الأزاميل، فرقعات المطارق، غبار الآلات وشقوقها، حزوز المبارد وخربشاتها، حفيف ورق الزجاج، مباضع جرّاح تنقذ المادة الجامدة من غياهب العدم. تتحرك ذرّاتها المتكاسلة فتقذف بها في آتون الحراك الحي.

هكذا تولد المنحوتة، من سحر اليد الرؤوفة، من صراخ الادوات الجارحة، ومن انين صخرتها الخاضعة. تحيا، متخايلة في العراء وتحت الضوء، آية تمجّد باريها.

هذا ما يجري بيني وبين المتلقّي

يعمل الفنان في محترفه، في خلوته حيث للزمن مقاييسه ونكهته المختلفة، ويأتي يوم يقرر فيه ان يشاركه الاخرون عمله من خلال معرض يقيمه في مكان ما، حيث يتاح للزوار مشاهدة نتاجه الفني في مرحلة معينة. قلت مراراً في أحاديث صحافية ان الفنان بحاجة لأن يعرض مرحلة من اعماله كي يستطيع الانتقال الى مرحلة أخرى. هل يمكنك أن تشرح لنا أكثر معنى ذلك؟ وماذا يعني لك فعلاً تقديم عملك للمتلقي، مشاهداً عادياً أكان، أم ناقداً فنياً متمرساً، مع العلم ان لهذا المتلقي قراءته وتأويله الخاصين؟

لكل فنان تشكيلي خصوصية يتميز بها في العمل والانتاج والعرض. في المحترف تبنى المراحل وتتشكل الأعمال. من هنا تأتي رهبة هذا المكان الذي يحتضنني ويحتضن تجاربي وانتاجاتي. في المحترف تتجسد الرؤى ويتأمن الأمان والاستقرار وتولد الأعمال من لوحات ومنحوتات بمخاضاتها وتوتراتها وتطوراتها. من هذا المكان المحترف اقتنص لحظات الخلق وأجسدها كيانات تشكيلية محسوسة باللون والحجم والتقميش والشفافية والمعنى. اختلائي بذاتي يتم من خلال هذا المكان الذي أصبح مع الزمن معبداً له طقوسه ونكهاته. لا شريك لي فيه سوى أفكاري وأحاسيسي ورؤاي وحواراتي مع موادي وأدواتي وتجاربي. مع الوقت تحول اللجوء إلى المحترف نوعاً من الادمان اللذيذ لأصول وشعائر وطقوس خاصة. فيه أمارس حريتي المطلقة من دون قيود النظرات والعيون المتلصصة والآراء المتناقضة الحائرة. فيه اتحول خالقاً وناقداً لما أفعل بيدي وأعصابي وأحاسيسي. فيه أكون نفسي فناناً ومشاهداً في الوقت ذاته، أتقمص كلا الدورين تبعاً للحاجة، بهدف كسبٍ يغني اللغة الخصوصية لما أقوم به من أعمال فنية في التلوين والنحت والتركيب والتجهيز. أمارس النقد الذاتي بين جدران محترفي بحزم شديد يمكنني نهايةً، وبعد تأملات

وتعديلات قد تأخذ حيزاً طويلاً وحواراً ذاتياً ممزوجاً بالقلق والمعاناة والتردد، من الوصول إلى اقتناع حازم وصارم بأن ما قمت به هو حاضر لأمهره بتوقيعي، وهو صالح ليكون ملكاً لعيون الآخرين.

في كل مرحلة جديدة من مسيرتي الفنية أعطي الوقت الكافي لإنجاز أقصى التجارب لكل الأعمال المشكّلة لمرحلة ما. وحين اتيقن وأقتنع من بلوغ الهدف النهائي لما فعلت، أقرر وضع نهاية لها. هنا تصبح الأعمال المنفذة خارجة عن عملية الخلق ويصير عرضها شأناً خارجاً عن طبيعة الفعل الفني الصرف ليدخل في معمعة السوق الفنية ذات الوجوه الثقافية، التجارية، الاعلامية والتسويقية. وعندما تُعرض مرحلة معينة من أعمالي، أكون قد اودعتها الزمن والتاريخ لاحتضانها والحكم عليها، فأشرع مرّة جديدة في الدخول إلى أجواء فنية أخرى مانحاً اياها كامل طاقتي وشغفي.

ماذا يعني لي أن أعرض مرحلة ما من أعمالي؟ تساؤل أطرحه على نفسي كل مرّة أقرر فيها الافراج عن اعمال اخذت من عقلي واحساسي وطاقتي كل الجهد والتأمل والحب. مع التجارب ومرور الزمن يتبين لي ان عملية العرض مرحلة لا بد منها لوضع حدٍ آني فاصل بين ما سبق من الأعمال والحالي منها وما سيتبع. خلال عملية العرض يتسنى لي مراقبة ردود فعل المشاهدين تجاه أعمالي. فآخذ كل ما يكتب ويقال من نقد وآراء، في الاعتبار، ايجابياً أكان أم سلبياً. ومع مرور الوقت ونتيجة للمعارض الكثيرة التي أقمتها، يبدو لي ان الجديد الفني يفاجئ المتلقي للوهلة الأولى. يقف البعض أمامه مندهشاً حائراً والبعض الآخر رافضاً له، مقارناً اياه بما سبق من أعمال. مع الأيام والسنين يطالبك الناس بمراحل سابقة من فنّك اعتادوا عليها فألفوها وحولوها جزءاً من ثقافتهم البصرية. باختصار، العرض يعني افراغ جعبتي الفنية لفترة زمنية محددة لإيداعها ذمة التاريخ والبشر. هذا الأمر يريحني ويحرضني للمزيد من العمل والابتكار. لا رابط بين عملية الخلق وعملية العرض. هما مرحلتان منفصلتان مختلفتان يصل بينهما وضع حد لفعل خلق فني، تم في أزمنة معينة وظروف محددة، له أسبابه ومعطياته وحيثياته ونتائجه.

ما يلفتني خلال عرض أعمالي تعدد التحليلات والتصورات والتخيلات التي يضفيها ويضيفها المشاهدون على أطروحات أعمالي ذات الاشكاليات والرؤى المقصودة. تكبر قيمة الأعمال في أعين المتذوقين وذاكراتهم، وما النقاشات والحوارات حول وقعها وتأثيرها سوى قيم انسانية فكرية تضاف إلى حضورها الفني التشكيلي. هذا الحوار المتبادل، بين الناس وتأثرات أعمالي بها، هو جزء من الأهداف الراقية والسامية التي اصبو اليها من خلال الفن، الذي اعتبره واحدا من الروافد الإنسانية التي تصقل أذواق البشر وتقرّبهم من الله.

النحت باعتباره عشقاً وتحدياً

عندما نتحدث عن النحت تتبادر إلى أذهاننا اشكالية العلاقة بين المادة التي تفرض نفسها في حضورها، والفنان الذي بحدسه ورؤاه، يغيّر جمادها ليحوّله جسداً ممتلئاً حركةً وايحاءات. كيف توضح هذه الاشكالية؟ وإلى أي مدى تفرض المادة حضورها أمامك؟ وهل تحدّ من امكاناتك في الخلق؟ وكيف يستطيع الصخر أو الخشب أن يجاري ميولك وأحاسيسك ونبضك الفني؟

النحت هو لغة الحجم المجسد بأشكال أعطيها، أولاً، للمواد الطبيعية على أنواعها من طين وجبس وحجر ورخام وخشب وحديد، وهي مواد أعالجها، بشكل مباشر، بطريقتين لا ثالثة لهما، الأولى بنائية والثانية تفريغيَة. ثانياً، للمواد المصبوبة أو المسكوبة كالجفصين والسيراميك والبوليستير والباطون والبرونز ومعادن أخرى ومواد مستحدثة. هذه المواد هي في مجملها صلبة معاندة، لكل منها حضور وخصائص مغايرة من واحدة إلى أخرى. يتطلب العمل بها معرفة وخبرة كبيرتين في خفايا معالجتها على المستوى التقني، توصلاً إلى ابراز احجامها وجماليتها. انني احترم خاصيَة كلٍّ منها، لأن لكل واحدة أساليب وتقنيات وأدوات خاصة بمعالجتها وصوغها توصلاً لتكوين احجامها النهائية في الفضاء، وتحت النور، من كل الجهات. وهنا يجب الاشارة إلى تأثيرات هذه المواد، بتقميشاتها وألوانها وقساوتها أو طراوتها، وتداعيات النور على نتوءاتها، بما يخلّفه من ظلال متعددة التدرجات والقيم على الحجم، وبالتالي على الشكل.

الفهم العميق للمادة، ووعي أهميتها، بحضورها الحاسم في عملية الخلق النحتية الفنية، دستور أساسي ملزم، للتمكن من تخطي قساوتها وصعوبة معالجتها على اختلاف أنواعها وخصائصها. ان ادراك المهارات التقنية النحتية والتدرب على معالجة موادها وأدواتها، ممرّان حتميان للنحات ينقذانه من معوقات المواد، بلوغاً إلى الأهداف الجمالية المتوخاة من عملية الخلق. تظل القدرة على

معالجة مواد النحت واستعمال أدواته، والسيطرة عليها، شأناً أساسياً وضرورياً للمضي في العملية النحتية. لكن ذلك ليس سوى معبر أولي في عملية الخلق المشرّعة على الاحتمالات والنتائج التي تدنيها من الأهداف الجمالية الصرفة ذات الأبعاد الرؤيوية والاشكاليات التشكيلية، التي تسمو بالمواد الخام إلى مراتب تحرّك جمودها وصممها وتنفح فيها انفاساً روحية وايحاءات حلمية تعلي شأنها فتَعْبر بها إلى عوالم جديدة ساحرة مغايرة لطبيعتها الأم وترفع من قيمها الأولية.

لا شك ان للمواد امزجتها وعنادها وصعابها التي تقف معوقات في عملية التنفيذ، لكنني اتخطى ذلك بالصبر والدراية والجهد، وصولاً إلى الجوهر السامي للُعبة الجمالية التي تشكل لي عملية شغف ومتعة، مولّدة للجمال.

لكل بداية، أياً يكن العمل، عثراتها وخيباتها. فكيف تكون الحال بامتهان أصعب مهنة وفن؟ من يقرر احتراف فن النحت، بمشقاته ومطبّاته، عليه ان يتسلح بقوة وإرادة استثنائيتين، وان يتحصّن بصبر وكفاح مستمرين.

في البداية بسط النحت رهبته عليّ وعلى براعم محاولاتي الفطرية الطفولية الساذجة. كنت، منذ ذلك الحين، أتهيب صعوبة الأمر بما فيه من صدّ وممانعة واستحالة. تعلّقي وشغفي بلعبةٍ كنت أجهل أصولها وصعابها، جعلاني أدخل متاهاتها بشكل عفوي تلقائي، أرى فيه اليوم تهوراً غير محسوب ربما، أو جرأة ما كنتُ واعياً تداعياتها.

أمّا اليوم وبعد اختباراتي المعمّقة في معرفة خفايا المواد وخباياها وسبل السيطرة عليها، انتفى الهاجس التقني المادي، فلم يعد عثرة في طريق الخلق. لكن الرهبة لا تزال حاضرة، في كل مرّة ازمع على تنفيذ منحوتة ما، تهيباً لأهمية ما أفعل. تيقنت في مراحل لاحقة من مسيرتي الفنية، انني منذور، بالموهبة والولادة، لهذه الرسالة الفنية، ولستُ أنا من قررت، بإرادتي ووعيي أن أكون نحّاتاً ورسّاماً، بل هو القدر اختارني ودعاني. وانني مسرور وفخور بما أنا فيه وبما توصلت اليه وبما أسعى لأجله.

ان لمواد النحت طبائعها المختلفة، والعمل بها يتطلّب حوارا فنيا، تتفرد به كلٌ منها. لذلك أرى أنه من واجبي أن أحترم هذا التفرد فأماشيه وأغنيه بمشاعري

وخبراتي توصلاً الى تناغم يجل المادة ويثبت أثري بها. هذا التناغم المتآخي بيني وبينها يشكل عنصرا أساسيا يحرك جمودها ليطاوع احساسي ونبضي ويسمو بعمليَة النحت الى مراتب الخلق الحقيقي.

النحت بالنسبة إليّ هو مهنة الكشف والشفافية العاصية.

انه التزام بعزم وصبر لا ينفدان. انه صنعة التخيل والولوج في خبايا المواد، كما انه مسرح للضوء، بالاحساس والفكر، في المادة والفضاء.

لا ندم في الفن

مراحلك الفنية متعددة الوجه والأسلوب. تقدم الجديد، باستمرار، عبر التجارب المبتكرة. لكن اللافت في ما تفعل، يبقى، بالرغم من تنوعه، متصلاً بعضه ببعضه، بالروح والمضمون والنبرة التعبيرية المرتبطة بشخصيتك التشكيلية الخاصة بك. هل ندمتَ، يوماً ما، على عمل أو معرض قدّمته؟ وهل حدث لك مثلاً ان تمنيتَ العودة إلى مرحلة مضت، لتبرزها بصورة مختلفة؟

كل مادة تقع تحت يديّ وبصري، تغدو في محترفي ملعباً لرغباتي الانسانية وحقلاً لاختباراتي التشكيلية الغائرة في البحث. أحرر هذه المادة من ركودها وجمودها، من شيئيتها وبدائيتها، من عدمها وامحائها، من تواضعها أو تشاوفها، لتنضمّ، طائعة، إلى عالمي التشكيلي، حاملةً بصماتي، متشربةً روحي، ومنتقلة، بالخلق، من حالها اللقيطة، إلى دنيايَ التي تشرّع انتماءها وحضورها.

تخضع هذه المادة إلى العديد من الاختبارات، بكل الطرق والأساليب والوسائل، تبعاً لاختلاف الحالات وتبدل الزمن. هي تختصر، بشكلها ومضمونها، مساراتي الفنية بكل مراحلها وتطوراتها. انها تحمل نزوات قلقي، نبرات روحي، همسات احساسي، عصارة فكري، ومضامين اختباراتي وأساليبي.

مع مرور الزمن وتتالي المراحل والاختبارات، تتحول المادة وتتطور، تبعاً للإشكاليات والرؤى، ولغائية تمحورها في النواحي الجمالية والتقنية. تكرّ سبحة هذه المراحل والاختبارات مخلّفةً وراءها تبدلات تبدو واضحة، عبر المعارض، في المادة ومندرجاتها.

أبني أبحاثي ورؤاي الجديدة تأسيساً على ما سبق من اختبارات ومراحل، هادفاً إلى تطوير يغني مسيرتي الفنية ويقيها من التكرار المستسلم، ويدخلها إلى ميادين التحدي الاختباري المبني على المراس والإقدام والمعرفة. اتطلع دوماً إلى الأمام وأراجع بالنقد الذاتي ما سبق من مراحل، مستفيداً من الخبرات

والتجارب الماضية، متنوّراً بهديها. ثم أمضي، بالحماسة نفسها، بالولع نفسه، في تجاربي التي لا أريد لها أن تنتهي، لكنني لا أندم على عمل نفّذته أو تجربة خضت غمارها. كما انني لا اعيد صوغ أعمال سابقة قد ارى فيها، حالياً، بعض الهنات. بل أتنوّر بها لبلورة ما سيأتي. هذا يعود إلى اقتناعي بأن الهيكلية الفنية لعالمي التشكيلي، هي سلسلة من الأعمال، تشيّد المراحل وتولد التجارب المكملة بعضها للبعض الآخر. من غير المستحسن لديّ، محو بعضها أو اعادة صوغ أخرى. ما أقوم به اليوم هو مقدمة للغد، وما انجزته في الماضي، هو اساس ضروري للتجارب الحالية المشكِّلة للارث التشكيلي الخاص بي، وهو يبقى حاضراً في لا وعيي الخلاّق، أوظفه في انتاجاتي اللاحقة. أحياناً تمر في خاطري مراحل ولّت يمكنها التأثير في مجريات العمل الحالي. لكنها بالتأكيد لن تتشكّل كشبيه مكرر، بل ستظهر في صورة جديدة وصوغ مغاير، لتنضم إلى قافلة انجازاتي الاختبارية. أحنّ إلى الماضي من التجارب والانجازات، لكنني لا أدعها تتحول عائقاً يأسر رحاب الوساعة ويحرمها من التوقع والحلم والاكتشاف تجاه التقنيات والاشكاليات.

الندم الحقيقي غير وارد في اقتناعاتي الفنية، لإيماني الراسخ والقوي بما أفعله وبما اعتبره هيكلاً متكاملاً مشيداً بمداميك تتواصل بتحاورها وتكاملها مع الزمن وبفعل التكاثر والتراكم الاختباري واستنفاد المراحل. غير ان التوقف والمراجعة، للتنوُر والتبصّر، يبقيان حاجتين ضروريتين، لابتكار المنافذ الجمالية الخلاّقة المتكاملة.

يبقى ان ندع للزمن اصدار احكامه، وللتاريخ أن ينصف ويصنّف انتاجات مسيرتي الطويلة، في عالمَي النحت والرسم وما بينهما من ابتكارات متفرّدة.

أنا مرآتان: واحدة للفنّان وواحدة للأستاذ الأكاديمي

الفنّان الخلاّق المتميز الذي ينجح في معظم أعماله، بالوصول إلى الآخرين، وتحريك مشاعرهم وتساؤلاتهم، ليس في الضرورة أستاذاً أكاديمياً جيداً. خلال مسيرتك الفنية الطويلة كنت أستاذاً ومسؤولاً أكاديمياً، في معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية على مدى ثلاثين سنة. لقد نجحت في دمج خبرتك التشكيلية مع أساليب التعليم الأكاديمية التقليدية، تاركاً أطيب الأثر لدى طلاّبك عبر السنوات. كيف تقيِّم هذه التجربة؟ ماذا أعطتك وماذا أخذت منك؟ وهل أثّرت بطريقة ما في مسيرتك الفنية؟

الفنان الحقيقي هو الانسان المترسل، طوعاً، لفنّه تحديداً. يسلك دروبه، المتعرّجة والمتشابكة، بمعابرها الشاقة ومحطاتها المتكاملة. يجهد دوماً لابتكار مناخات تميّز حضوره الخلاّق، فيتماهى مع ظروف حياته وإرث حضارته الانسانية، بهدف اجتراح حلول مبتكرة لصياغات فنية جديدة، توازن بين التوترات العميقة لجموح أناه الخلاّقة وخصوصية مجتمعه القانع بمعتقداته الراسخة.

قبل انشاء المعاهد والكليات الأكاديمية الفنية، نجد، عبر التاريخ والزمن، أمثلة كثيرة لفنانين كبار تحوّلت محترفاتهم مدارس تضمّ تلامذة مريدين يتدربون على أيدي هؤلاء الكبار ويتعلمون أسس الفن بمبادئه وتقنياته وجمالياته.

حالياً، وبعدما تحوّلت المؤسسات الأكاديمية معابر أساسية ضرورية لبلورة الشخصية الفنية للموهوب، انتقل هذا الدور التعليمي من محترف الفنان إلى هذه المؤسسات، وأخذ التدريب الفني شكلاً جماعياً يفرض تأثيراته على أيدي أساتذة وفنانين كثر يتركون بصمات في شخصية الطالب المتلقي، تتفاوت في تأثيرها بين طالب وآخر.

واكبتْ مهنة التدريس، بداياتي الفنية. فقد مارستها من عمر العشرين في المدارس الابتدائية والتكميلية الرسمية. حينها كنت لا أزال طالباً في معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية وفي الوقت نفسه كنت أستاذاً، في قريتي مزرعة يشوع، ألقّنُ التلامذة مواد علمية مختلفة، اضافة إلى مادة الرسم. أكسبني هذا النهج، ثقة بالنفس. ثبّت معارفي الفنية ورسّخ خطواتي الأولى في طريق الاحتراف. أمّا في الثلاثين من عمري، فقد بدأت التدريس الجامعي الأكاديمي في جامعات خاصة وفي معهد الفنون الجميلة، حيث لا أزال الى اليوم، أواظب على التدريس الفني والتنظيم الاداري الأكاديمي من خلال ترؤسي قسم الفنون التشكيلية.

وازنتُ طوال حياتي بين شخصية الفنان المنتج ذي التجارب والأساليب الخاصة، وبين دوري كأستاذ أكاديمي يمارس تدريب الطلاب لإكسابهم المعارف والقدرات الفنية، التقنية منها والجمالية. وهذا أمر ليس بالسهل لدى أي فنان، لأنه يتطلب فصلاً فعلياً بين ما هو شخصي وما هو موضوعي لتسهيل إيصال الخبرات والتدريبات الواجبة من دون تغليب للأنا والشخصانية. هذا الوعي العميق بدوري كمربٍّ للأجيال، جعلني أدرك كيف أنمّي مواهب الطلاّب، كي تسلك دروب الفن المتينة والصحيحة المؤدية إلى اكتشاف ذواتهم، وأكسبني أيضاً ثقة بنفسي كفنان وأستاذ.

يتمحور اهتمام الطالب، في السنوات الاولى من تدريباته الفنية، على اكتساب التقنيات بموادها وأدواتها وأساليبها. هذا أمر طبيعي أركّز عليه لما فيه من فائدة لتنفيذ المشاريع بطريقة محترفة. أمّا في السنوات التي تلي، فيصبح تأكيد الجمالية والأداء التشكيلي والمهارة في صوغ المواضيع واشكالياتها الجمالية والتقنية بشكل متوازٍ، أكثر من ضروري وواجب.

في هذه المرحلة يصبح دوري، كفنان وأستاذ موجّه، له خبرته المتقدمة في مجالَي الخلق والتعليم، أكثر فعالية وأعمق أثراً في الصياغات النهائية لأعمال الطلاب. دور توجيهي مسعف، يكتشف القدرات والتوجهات الحقيقية لكل منهم، ليرشدها ويقودها إلى نهايات أكمل وأشمل. هذا الأمر في غاية الحساسية والدقة لأنه يستوجب مني، لجم مشاعري وأساليبي ومفاهيمي الخاصة في

الفن، والتحلي بصفات الأستاذ الأكاديمية الموضوعية التي تجلّ موهبة الطالب وامكاناته وتساهم في تنميتها وتظهّرها من دون قمع أو توجيه معلّب.

هذه مسؤولية لا أزال أمارسها وأتحمل أعباءها كواجب طوعي جعل من حضوري في معهد الفنون الجميلة أستاذاً أكاديمياً وباحثاً مقرراً في وضع البرامج والمناهج وتطويرها كي تتلاءم مع ما يفرضه منطق التطور والتقدم.

على مدى السنوات ومع كل الأجيال، بنيتُ علاقتي التربوية على الصدق والصراحة والحق. أعطيت كل واحد منهم حقّه من النصح والتوجيه، بما يفيده ويوصله إلى نتائج أفضل في الرؤية والأداء، وذلك من ضمن احترام الفوارق في جهوزية كل منهم وموهبته، ومدى استيعابه للرأي الموجه تنوراً به لإيجاد الحلول لمعضلات أعماله. مسؤولية تحمَلتها متسلحاً بالحكمة والصدق والصراحة في التوجيه النقدي لخلق ثقة متبادلة، كفيلة بإيصال الطالب المتلقي إلى مستويات فنية مرجوّة، تتخطّى المعوقات التقنية والحواجز النفسية.

تكمن قيمة هذه التجربة التعليمية في وقع تأثيراتها الإيجابية عبر الأجيال وفي النتائج والمستويات التي حققها العديد من متخرّجينا في المعارض الفردية أو الجماعية على صعيد الانتاج الفني وفي المدارس والمعاهد الفنية على الصعيد التعليمي.

أكسبتني مهنة التدريس خبرة عميقة في اكتشاف المواهب وصقلها، كما أتاحت لي مواكبة أعدادٍ كبيرة من الطاقات الشابة المليئة بالطموح والعزم والنشاط، مما دفعني دوماً إلى محاكاة تطلعاتهم المقدامة، الجريئة، الطموحة، والمعبأة بالثورة والجموح والحياة. تظهّرت هذه الروح في تجاربي الفنية، محطات هدمت الحواجز وتخطت المألوف. وأثمرت في المجتمع طاقات فنية ومواهب أغنت الحياة التشكيلية في لبنان وتركت لي بينها صداقات أعتز بها وافتخر.

لم أشعر يوماً بأن التدريس الفني أبعدني عن محترفي أو أنه كان، في أي وقت، مدعاة للقلق والإلهاء. بل كان دوماً محفِّزا لي للمجازفة والعمل ومعزِّزاً لتجاربي الفنية. مدّها بالانتفاض والاقدام. نفث فيها روح البحث وبثّ فيها عزم الشباب الطموح.

هذه قصّتي مع اللون

يلعب اللون دوراً أساسياً في حياة الفنان. يعبّر عن مشاعره وأفكاره ويُبرز جوّه الداخلي. عبر تاريخ الفن يلحظ المراقب، المتابع لمسيرة الفنانين، وجود ملوانة خاصة بكل فنان. ألوان محببة، مفضلة، يستعملها بشكل لافت. ألوان أخرى يهملها أو يقل استعمالها. نفاجأ احياناً بارتباط اسم فنان وفنه بلون واحد. بالنسبة الى أعمالك في الرسم والتلوين، يختلف الأمر لأنك لا تستبعد أيّاً من الألوان، أو تكثر استعمال لون على حساب آخر. ملوانتك متنوعة الألوان والتبدلات. لا تكرار في الوانك بل استنباط لقدراتها اللامتناهية من تمازجها، تواترها، تنافرها وتلاقيها. ماذا يعني لك اللون؟ هل هو حالة أم تقنية؟ وسيلة أم هدف؟ كيف تعالجه وتحاوره؟ وكيف تربط قضيّة اللون بإشكاليات الحجم في النحت؟

اللون أساس لفن التصوير، هو جوهر العمل وروحه.

اللون ابن الضوء والعيون، جسده مادة وذاته نور.

اللون ذبذباتُ اصباغٍ وتدرجاتُ ملامس في العين واليد. توهجاته اطيافٌ وبريقُ احساس في معجزات الخلق.

ان الموازنة بين اعتبار اللون ضوءاً، وكونه مادة من مصادر الأرض والنبات والدماء، هو القضية الأم لانشغالاتي الجمالية الأساسية، كفنان ملوّن. أما الاهتمامات الجانبية المكمّلة، في لعبة الانصهار والتدرج والتوازن والانسجام والتناقض والوحدة والسيطرة، فما هي الا مهارات احترافية ضرورية، أوظفها لامتلاك هيمنة سياديّة جمالية، تفضي بمشاعري في الخلق إلى نهايات خصبة.

اللون هو توهج احساس يصدر، مبدئياً، من تصورات المخيلة المتولدة من التأملات العميقة للطبيعة في تحولاتها وحالاتها المتأثرة بنوعية الضوء وتبدل الأيام والفصول وتغيرات الطقس. يولد هذا التوهج متجسداً بقراري في انتقاء الاصباغ الاولى ونوعية المادة اللونية وتموضعها على ملوانتي.

هذا القرار في اختيار الألوان هو النواة المفصلية المولدة لكل التداعيات اللونية اللاحقة. ما تختاره يدي يحدد مصير الفعل اللوني في عذرية المسطحات البيضاء، ليتحكم تالياً بولادة العمل الفني وخصائصه.

هذا الانتقاء، لنوعية الألوان، قد يبدو في البدء عشوائياً، لكنه في حقيقة الأمر النطفة الحقيقية لمجريات عملية الخلق في العمل التصويري التشكيلي. أما باقي التداعيات الجمالية اللاحقة، فهي محصلة لهذا الاختيار الانتقائي، لأنها قضية اشكالية تأتمر بذوق الفنان الملون ومزاجيته، كما ترتبط بخلفيات ثقافته وخصائص جذورها الحضارية.

أنا فنان لبناني ولدت ونشأت في موطن الضوء. ترعرعتُ في احضان طبيعته بين ألوان الأرض الترابية وفي حقولها الخضراء وجلولها البنفسجية والصفراء. سرّحتُ نظري في سماءٍ امداؤها زرقة وبياض، وفي أفق بحر امتداداته وساعة ولا نهاية.

عششت غزارة هذه الأنوار اللونية، في مخيلتي ودماغي ولا وعيي، مولدةً هذا التنوع الظاهر في ملوانتي ولوحاتي وحياتي. أنا فنان ابن قدره، محيطه، طبيعته، ثقافته، حضارته، اصالته وخياراته. لذلك أنا موجود في عملي ومتوحّد به، احاول تجسيد ذاتي في حقيقتها العارية وانشد بلوغاً في ايصال مغازي رسائلي الجمالية ومعانيها، لصالحي أولاً ولكل من يرى ويحلل عملي ثانياً. هذا المنحى في التنويع والتبديل والتجريب، في التطوير اللوني والحالات التشكيلية بأبحاثها وأساليبها، هو نتيجة حتمية للارث الحضاري الفني، وبالتالي هو اقتناع بقرار طوعي نابع من هذه الحيثيات والمؤثرات القدرية.

اللون هو رحم المعنى وحضنه. هو الاطار المولّد للرؤى والمساحات الفكرية التشكيلية في بحر التداعيات التأليفية.

اللون هو ثوب الأشكال والمواد وتقميشاتها. هو السحر الملتصق بأجساد الأعمال وأرواحها. هو ارجوحة التصاوير وملعبها. هو مناجاةٌ للنغم الشريد في آفاقه الحلمية الغائرة. هو دم الخطوط والمساحات ولحمها وشرايين خلقها. نعم، هكذا يتربّع اللون على عرش أعمالي الفنية، في ترددات ومعانيه العميقة

الميقّظة لاسترخاء مشاعري ورهافتها. لذا فهو خبزي اليومي، في معجن الفن، وخميرة اشكالياته بكامل مندرجاتها.

اللون حالةٌ في حاله. تحولاته ثمارٌ من تداعيات المزج والتدرجات والصيغ المتنوعة بفعل الأدوات والأساليب والاختبارات الابتكارية الخاصة بكل يدٍ خلاقة تمس لوناً وتتعاطى مفرداته داخل قاموس الفن الشاسع.

اللون حالة، تحول التقنية لباساً لصورته النهائية، منسوجة بلغة الملامس والتقميشات المحسوسة بالأيدي والعيون التي لا يمكن فصلها عن تداعيات تقنيات اليد المختبرة بأدواتها من: توترات، تراكمات، تموجات، خربشات، تدرجات، تنقيطات، تمشيحات، تزييحات، تمشيطات، زرزبات، تلييسات، تسميكات، تشفيفات، تلميعات، تبهيتات، تنفيرات، تمسيدات، حدل، صقل، قحف ومحو... كل هذا يتداخل متقمصاً جسد اللون وروحه، ليتحول حالات تشكيلية جمالية مغايرة، من المستحيل اعادة احيائها أو استنساخها، ولو لمرّة واحدة، لانها بنت اللحظة الخلاّقة المتفرّدة.

اللون هو الوسيلة المادية المرئية في امداء البياض وصحراء صممه. انه التجسيد الخلاّق لمخلفات اليد وأفعالها وخلفيات الفكر والاحساس وتداعياتهما. من خلال اللون اصوّر المواضيع الانسانية والجمالية. أستوحي من ترددات، رموزها وايحاءاتها، معاني للأهداف الفنية وغائياتها النهائية. حيناً يستأثر اللون بالمعنى والهدف، فيكونهما بأروع تماهٍ ممكن، وأحياناً يتداخل مع الاشكاليات والمواضيع فيعاون في تظهير الأهداف الفنية بصدق وأمانة. لا فرق في أعمالي التصويرية، بين اللون كوسيلة أو هدف. انهما توأمان يسعف أحدهما الآخر فيتوحدان، في دروب الخلق، ليتولد من مزيجهما سحر للأعمال واصالة.

هذا اللون اعالجه تبعاً، لمزاجيتي وتبعاً للأنواع التشكيلية المختلفة بمراحلها. فلكل نوع وقت لخلقه وظروف لاختباراته، أبحاثه وأهدافه، ومن ثمّ صورة لأسلوبه الظاهر:

في التصوير المسطح على حامل من قماش، خشب، كرتون أو ورق، يكون اللون سيد المساحات البيضاء، فيتصدر الأعمال حراً، متحرراً، متغاوياً في تراكم

طبقاته وتدرجاته، في زخم رموزه ومعانيه، وأيضاً في صدق أهدافه ومراميه. أما في تلوين الأعمال ذات النتوءات: كاللوحة المنحوتة، القماشة المنحوتة وأعمال التركيب والتجميع، فيصير اللون عنصراً مساعداً، مقيّداً نسبياً، بحيثيات كل عمل في المغازي والأهداف والخصائص المحددة. هنا، في هذه الحالة، يكون اللون إما مونوكروماً، في وحدانيته، لكنه متكاثر بفضل التدرجات والقيم وتأثير الضوء في تظليل مساحاته وأشكاله الناتئة أو الغائرة العائدة لكل عمل، وإما متعدداً يساعد في ايجاد المصائر الجمالية المطلوبة لبلورة الأعمال ذات الأحجام البارزة.

في هاتين الحالتين، يختلف التحاور مع اللون، من واحدة إلى أخرى، تبعاً للأصول والأنواع والظروف، نظراً لما لها من انعكاسات جوهرية على الغائيات والأهداف. حواري مع ألواني يخضع، أولاً واخيراً، لمزاجية مجنونة تنبع من ترددات الأصداء العميقة لأحلام اليقظة واللاوعي ونداءاتهما. أحلام وتخيلات تسترجع مسيرة حياة مفعمة بالتأملات المتبصّرة في المحيط المنظور والمحسوس المتسربين إلى قلبٍ ودماغٍ ينشدان تعبيراً متفرداً.

عبر الوقت، أدّت المسارات اللونية لتجاربي التصويرية، إلى تداعيات حتمية في مثيلاتها النحتية. ان انغماسي في لعبة الألوان وسحرها، أوصلني، منذ بداياتي الفنية، إلى خيارات نحتية مستجدّة اعتمدت اسلوبها مستعملاً اللون لإدخاله عنصراً اساسياً في صوغ الأحجام واغناء أجوائها. لذلك اشتغلت، في السيراميك، فناً يفترض حجماً فخارياً وألواناً عاجية وأوكسيدات معدنية. تصهرها النار وتظهّر حضورها الملتصق في بنية الأحجام البارزة والغائرة. كما اخترت أحجاري وصخوري الملونة، طبيعياً، بطبقاتها الجيولوجية، وحاولت جاهداً تظهير اللون واستغلاله، للاستدلال من خلاله على الشكل المناسب في مقتضيات المنحوتة التأليفية. ولّدت لديّ هذه المحاولات البحثية، نظرة جديدة، فاستنبطتُ أسلوباً نحتياً متمايزاً عن الاساليب التقليدية التي تعتمد، في أسسها، على تكوين الشكل في المادة دون الالتفات إلى لونها. هذا التحاور بين اللون وحجمه، وتناغمهما، أديا، ضمن المادة نفسها، إلى اجتراح حلول واشكاليات مناسبة لتجاربي الفنية على صعيدي التصوير والنحت، مما يعتبر

خصوصية اتفرّد بها في تجاربي التشكيلية. ولّد هذا التزاوج، بين ألوان المادة النحتية والأشكال النابعة منها، سلسلة من الأعمال المبتكرة، ساهمت في ايجاد لحمة اسلوبية قربت بين فروقات فنّي الرسم والنحت المتباعدة وأدّت إلى ردم الهوة بين الشكل ولونه وابتكرت حلولاً جعلت اللون يتحد بانسجام مع جسد شكله بكل أحجامه. هذا التناغم البحثي التجريبي الذي هيمن، مبدئياً، على معظم أعمالي التشكيلية، اثّر حراكه الايجابي، في اغناء لغتي الجمالية، فغدا متفاعلاً، بتبادلاته، في الاتجاهين المتعاكسين: بين ما هو معتبر من عالم الاصباغ والألوان، وبين ما هو متحدّر من رحم الأحجام والأشكال. الأمر هذا، استوجب لديّ حضوراً مزدوجاً لشخصيتَي الملون والنحات. ولولا ذلك، لانتفت أهمية هذه الاشكاليات اللونية لخلق المنحوتة الملونة في تموضعها النافر نحتياً.

خزّان طفولتي

الطفولة خزان الذاكرة الراشدة، اليها يعود الفنان في جميع مراحل حياته بإرادته أو عبر لاوعيه. يستعين بنثرات من طفولته المغذية لقنوات التعبير لديه، فتظهر في ملامح ومواضع كثيرة من أعماله. لقد تحدثت كثيراً عن طفولتك وأهميتها بالنسبة اليك. ما هي مؤشرات هذه الطفولة ومصادرها وكيف ترتسم في أعمالك؟ وما هي المكانة المخصصة لها؟ أين تجد تأثيرها المباشر وغير المباشر في انتاجاتك الحالية؟

الطفولة مروج تسقيها سماء سخيّة. بيادرها احتياط حُبٍّ للأعمار الآتية. طيورها تحلّق من دون أجنحة وعرازيلها بُسطٌ تسبح في هواء بلا شجر. حنانها غمرات لا اذرع لها ومخزونها هديٌّ ملائكيٌّ للدروب العصيّة. ولائمها اطايب شهية. رجاؤها منقذ في العتمات الداكنة وشموسها تشرق من تناسلها. براءتها حقيقة جلية وحلمُ ذكريات نديّة. كرومها خمور الآتي من الأيام وفاعليتها سحرٌ ينعش بطراوته قساوة العيش. اوهامها سراب ننشده كامل العمر. لأنها الطفولة ولأنها في الأصل حياة الجنّة قبل الحساب، اسلمتها الريادة.

قاتل نفسه يصرع طفولته وخائنٌ لذاته من لا يحميها بحكمته.

من طفولتي استقي براءتي، سذاجتي، صدقي، وهم احلامي وسجيتي... من نقاوة اصلها احاول استرجاع صفائي ومن انعكاسات مراياي، المشعّة بهديها، ابتكر غدي الفني الهازج. ما ادركه منها جزئيات يسيرة من ماضيها الواعي فيّ وما لا اعرفه كمٌ مستور يغذّي بمخزونه تداعيات احلامي وطاقاتي الفنية الخلاقة.

منذ صغري، ومن خلال تعاطيّ العميق مع الطبيعة وانخراطي مع عائلتي في الحياة الريفية، بتقاليدها وشعائرها الاجتماعية والدينية، نمت لديّ عادات ونمطية حياة أثرت بشدّة في جوهر طفولتي. انتمائي الاجتماعي إلى هذه الشريحة العائلية، في النصف الثاني من القرن العشرين وبما له من خصائص في العيش

والتأثر بالتحولات البيئية والتبدلات العلمية المواكبة لحركة التاريخ، أدّى إلى رسم الخريطة القدرية لمسيرة حياتي في ما بعد.

لقد شهدت تلك المرحلة من التاريخ تحولات دراماتيكية في المجتمع الريفي اللبناني لناحية التبدل السريع في انماط العيش. وأهم العوامل الأساسية في هذا الموضوع كان وصول الكهرباء إلى القرى والمنازل وما استتبعه من تغيرات في اشكال الخدمات والوسائل المعتمدة في الحياة اليومية: كالراديو، البراد، المكواة، التلفزيون، الغسالة، المروحة، الغاز... وما إلى ذلك من أدوات عصرية يتصل وجودها واستعمالها بحتمية وجود التيار الكهربائي في كل منزل من بيوتنا.

قبل عام 1955، أذكر اننا كنّا نسهر، أنا وعائلتي، على ضوء الشموع وقناديل الكاز، ونمضي السهرات في لعب الورق أو قراءة القصص والحكايات التراثية: عنترة بن شداد، ألف ليلة وليلة، كتاب بهزاد البطل الفارسي، أو ما شابهها من كتب توافرت لدى جدتي لأمي التي كانت مع أمي تجيدان القراءة والكتابة بعكس أبي. كنت استمتع بتلك القصص الخيالية وأنام وأحلم بأحداثها.

كانت أمي، بمساعدة جدتي، تقوم بصنع الخبز على الصاج وتغسل ثيابنا بالطريقة البدائية وتطبخ على بابور الكاز «الجاعر» وتحفظ الطعام في «النملية» وهي صندوق كبير من خشب له رفوف، ملفوف بشريط معدني يسمح بتهوئة الطعام وحمايته من الذباب والحشرات. كنّا نشرب الماء البارد من جرار وأباريق فخارية راشحة تضعها أمي ليلاً على «سطيحة» المنزل أو من بئر الماء التي بناها أبي خصيصاً لجمع المياه الشتوية بغية استعمالها صيفاً للشرب وريّ المزروعات. في مرحلة لاحقة كنّا نبرّد ماء الشرب بواسطة ألواح الثلج في براد، قساطله من رصاص وله حنفية خارجية.

كانت امي تكوي بعض الثياب عند الضرورة بمكواة تحمّى على الفحم. وكانت تحمّص البن على بابور الكاز وتطحنه بمساعدتي بمطحنة البن النحاسية اليدوية. تدقّ اللحم بالمدقة الخشبية الكبيرة في جرن من حجر نحته أخي. تفرم اللحم بواسطة فرّامة يدوية. كما كانت جدتي تربّي دود القز وابي يزرع البطاطا والفول والقمح. وكل العائلة كانت تقطف اللوز والزيتون والعنب والتين في مواسمها لصنع الزيت وتقطير العرق وطبخ التين.

في محيط منزلنا حديقة كبيرة جلّلها أبي وزرع فيها كل أنواع الشجر المثمر والبقول والخضر وكنّا ننام كلّنا أرضاً في «مربع» واحد وعلى فرش من صوف الغنم.

اؤكد هذه التفاصيل لأبيّن أهمية طريقة الحياة ووسائلها في نمط نمونا العاطفي والفكري. لقد ثبت ان لهذا الانتقال السريع من نمط إلى آخر، اثره الواضح في تكوين طفولتي لأنني عشت تلك المرحلة بمجمل تبدلاتها السريعة المتتالية من وجود التلفون الآلي والتلفزيون بالاسود والابيض عام 1960 والملون عام 1970، استعمال الهاتف الخليوي عام 1995 والانترنت في ما بعد وباقي الاختراعات الكونية التي توالت بشكل سريع نقلت طريقة حياتنا في خلال خمسين سنة من العام 1950 لغاية 2000، من حياة القوقعة والبداوة إلى حياة العولمة والانفتاح البشري الكوني.

لم تشهد، قرون سابقة في التاريخ، كتلك التبدلات السريعة في الاكتشافات العلمية والتطورات الفكرية والحضارية. لذلك يبدو، واضحاً من خلال هذا السرد السريع لوقائع حياتي ضمن تلك الظروف مدى تأثيرها الواضح في نمو شخصيتي منذ طفولتي وصولاً إلى شبابي ونضجي.

التعلق بالأرض، بالصخر، بالشجر، بالمناظر الطبيعية، بالحياة الريفية، بالعيش الهادىء، عناصر راسخة في شخصيتي وطفولتي كما للعادات والتقاليد الاجتماعية والدينية مكانتها: كالصلوات والاحتفالات الاجتماعية من اعراس واعياد وحفلات زجل.

أذكر انني كنت أذهب، كل نهار احد، إلى الكنيسة مع أمي وأبي واخوتي. هذا عرف لم انقطع عن ممارسته إلاّ حين صرت شاباً. بحكم العادة والترداد حفظت الصلوات والتراتيل ببغائياً باللغتين العربية والسريانية. كنت أشرد خلال القداس في تأمّل تماثيل القديسين المصمودة على قواعد عالية أو الأيقونات المعلقة على جدران الكنيسة. أثّر فيّ تمثال العذراء الجاثم على قاعدة عالية في حائط كنيسة تلامذة مار مارون لناحية اليمين. هذا التأثير بدا واضحاً بمواضيع النحت وإشكالياته لديّ. ترفع العذراء يدها اليمنى إلى فوق وتمد يدها اليسرى إلى تحت لتحتضن هامات الملائكة وأجسادها المنتشرة حول جسدها

وتحت رجليها. الوجوه العليا للملائكة مكتملة الملامح بوضوحها الشكلي ثمّ تبدأ الوجوه بالامحاء رويداً رويداً لتصير في النهاية كتلاً غامضة المعالم كالاجنّة في بدء تكوينها. هذا المشهد شدّني اليه في كل مرّة كنت احضر القداس. كنت اتأمل واتبصّر وانفعل ولا اعلم سرّ تلك الحالات الى حين تفتحت موهبتي وكبرت، فلاح حضور هذا المشهد في مجمل أعمالي النحتية التي عالجت من خلالها مواضيع الامومة والقداسة والتوالد. محلل تلك الأعمال إذا تبصّر جيداً، سيكتشف فوراً سرّ هذا الأسلوب ومنبعه.

مراحل درب الصليب، صور القديسين، الدينونة الأخيرة، المصلوب، شكل الصلبان والشماعدين والثريات، الشموع الذائبة، رائحة البخور، عظة الكاهن وثيابه، زخارف السقوف والحيطان وألوانها في الكنائس، أصوات الأجراس، جموع الناس، التراتيل والألحان، الركوع والوقوف، أصوات المرتلين بأشكالهم بنبراتهم، كلها أمور محفورة في ذكريات طفولتي البريئة.

إذا أردت تحليل أعمالي الفنية، ومدى علاقتها بما هو عالق في لا وعيي، لا شك انه في الإمكان ارجاع قسم من أعمالي إلى هذا النبع الطفولي الفياض. لكنني لن افصّل بإسهاب تلك التأثيرات في أعمالي، تاركاً للنقد لاحقاً ان يستطلع أهمية ما اشير اليه.

أنا فنان اعمل على سجيتي، أترك لانفعالاتي، نزواتي وطفولتي، ان تطفو وتظهر في اشكاليات الفنون التي اعالجها وأساليبها. لان صدق الانسان الفنان وحقيقة مشاعره هي الاساس في ابتكار اعمال تصدح بمكنوناته الحقيقية الاصيلة. لا ادّعي شيئاً من ذلك ولا اقصد انفعالاً بعينه، لكنني اترك ذاتي الخلاقة تسير بهدي اللحظة والاحساس والصدق وما ينتج من ذلك ويستتبعه، هو انا الحقيقي المنقوع بالماضي، بالطفولة، بالنضج، بالتهور، بالمغامرة والمثابرة.

طفولتي وشم ذاتي قدريّ احفظه في ضميري أيقونة أصلّي كي تبقى نقيّة، هادية ومولّدة لوهم الجمال وقلقه.

حوار بين الخلق الفني والخلق الإلهي

ما يميز الفنان عن سواه، عطيّة الموهبة التي يمتلكها وتتيح له مشاركة الله في الخلق. كفنان موهوب كيف تتفادى الوقوع في فخّ «جنون العظمة» الذي ينزلق اليه معظم الفنانين من جراء تأليه ذواتهم والاكتفاء بمنابع مواهبهم المحدودة بآفاقها البشرية؟ وبالتالي كيف تحافظ على التوازن بين موهبتك المتفلّتة من القيود ووجوب تواضعك أمام الله وعظمة خلقه؟

حين يجتمع اثنان في الحب، ولحظة التقاء نطفة الذكر ببويضة الأنثى، تتحدد المعالم التكوينية، لإنسان ما، معلنةً تفاصيل خصائصها الجينية في الجسد والروح وفي القدرات والموهبة. لكل التقاء، بين ذكر وأنثى، نتائج قدرية تولّد انساناً فريداً يتمايز عن البشر كافة وعن اقرب المقربين اليه، بالخَلق والخُلق، بالطاقة الخلاقة واختلاف ميولها.

الخلاق في الفن هو الانسان الذي أُعطي، بالتكوين الأول، موهبة فطرية رسمت المصادفات الكونية طريق اقدارها واطّرت جهوده الخاصة، مستقبل مساراتها ومراميها داخل متاهات القلق الجمالي الممتع والشغوف.

بعيداً من نظريات الوجود الفلسفية والدينية المختلفة بشتّى مساربها وتناقضاتها، وإذا سلّمنا جدلاً بأن لهذا الكون خالقاً هو إلهه وربّ كل كائن حيّ فيه، نستخلص، استنتاجاً بالمنطق الايماني، ان الموهبة عطيّة من الله خصّ بها إنساناً معيناً دون سواه. وبما ان الله خلق الانسان على صورته ومثاله، فلا عجب إن اعتبر الموهوبون انفسهم، على مرّ العصور ومحطاتها الحضارية المتعددة، خلاّقين على مثال خالقهم وباريهم. لذلك لا استغرب سلوكية أصحاب العلم والفكر والفن والثقافة على وجه العموم، من خلال نتاجاتهم وثقتهم الطموحة بأنفسهم التي تفضي ببعضهم، أحياناً، إلى جنون العظمة وتجاهلهم لمحدودية قدراتهم البشرية. هذا الاحساس، بفائض الثقة والقدرة على الخلق، يجعل من

صاحبه كائناً يغرق في غروره واعتداده بنفسه الى درجة التألّه. الثقة بالنفس والايمان العميق بأن ما نفعله يعبّر بإخلاص وصدق، في لحظة زمانية محددة، عن مكنوناتنا وأحلامنا وتطلعاتنا، أمر جيّد ومنطقي، لكن الجزم بأحادية خلقنا واعتباره الحقيقة المطلقة من دون النظر الى شمولية الخلق الالهية ولانهائيتها، يعد عند البعض كفراً وهرطقةً وكسراً للحدود المرسومة بين الخالق والمخلوق. في بعض الأحيان تشكل كلمة «خلق» ارباكاً لدى العديد من الفنانين لاعتبارات دينية أو ثقافية فيستعيضون في الحديث عن أعمالهم بكلمات أخرى، مثل «ابداع»، «ابتكار» و «تكوين»، لاعتقادهم بأن الخلق لله وحده.

أمّا بالنسبة إليّ فالأمر محسومٌ بمصالحة مع الذات ومع الخالق. لا مبارزة ولا مقارنة مع خلق الله والخلق الفني الصادر عن موهبتي التي هي في الأصل عطيّة منه. لذا اعتبر نفسي موكلاً، بنعمة الوصي الأكبر ورعايته، لكي استمر بالخلق في مجالاتي الفنية. هنا أُسقط التكلّف والاحراج محوِّلاً الجهد البصري، اللوني والحجمي، حواراً مع ذاتي وخالقي ومخلوقاته. حوارٌ عميقٌ يستمد عناصره من قناعات ورؤىً ذاتية ومن ايحاءات الطبيعة الملهمة، وحكمة خالقها، بكل ما فيها من شجر، صخر، ماء وبشر. حوار حرٌ يحلّق في رحاب الحلم من دون قيود المجتمع وتعقيداته الارثيّة، الدينية، السياسية وأحياناً الاخلاقية. الفن لا يحيا ولا يثمر في كنف الظلم، الكَبت، التعقيد، والقوقعة، انما ينمو في أجواء التحرر، الانفتاح والتفلت من تعقيدات وممنوعات قسرية اوجدتها المجتمعات، في الأصل، للجم غرائز البشر.

يستمد الفن عصبه وتألقه من غرائبية نتائجه وثورية اشكالاته المنتفضة على ركود المألوف. ولأن الفن يتعارض بجرأته مع السائد في الذائقة العامة، يصطدم عموماً برفض يحدّ من جموحه ويجعل من صاحبه طائراً يغرّد خارج السرب، فينعت بالجنون وتنسب اليه افتراءً صفات ومواقف لا تتناسب مع حقيقة محاولاته المستشرفة لزمن آخر ولرؤىً مبتكرة. الخلاقون سبّاقون لعصرهم، يدركون الآتي قبل اوانه، ممّا يعمّق الهوّة بين أعمالهم وامكان فهمها من قبل معاصريهم.

واجبنا الانساني-الفني لا يتلخّص في ان نوضّح أو نضيء ايقاع الاله، وانما

في الولاء له قدر ما نستطيع من خلال ايقاع حياتنا القصيرة وعمرنا القصير. هكذا ننجح نحن، كبشر فنانين، غير خالدين، في ان ننجز أفعالاً خالدةً، لأننا نتعاون مع من هو خالد وأزلي ومع من هو قوة تتسع لكل شيء، وطاقة تلد كل شيء. قوة منقّبة باحثة ولّدت، عبر ملايين القرون، من عدم العتمات الطينية، وجوداً لكونٍ يغمره النور. نكافح جميعاً بشراً وأفكاراً في ممرات البرهات العابرة لحياتنا الفردية، لكي نضبط في دواخلنا ايقاع الفوضى، وننقي الهاوية، ونجمع من أجسادنا أكبر قدر من الظلام فنحيله جمالاً مضيئاً يمجد الخالق ويصبو اليه.

كل الفضائل الجمالية تأخذ قيماً جديدة، بتتحررها من اسر اللحظة العدمية، مؤكدةً وجودها المطلق، من خلال الفنان الخلاق، عبر التدفق المتنور للتجسيدات والمغامرات الانسانية.

من داخل الطين الانساني تنهمر اغانٍ الهية، أفكار نيّرة، حالات عشق جارفة واندفاعات خلاقة يقظة وغامضة بلا نهاية وبلا هدف... بل هي كل الهدف.

كفنان، أناضل لمحاربة العدم، أسعى الى أن تترعرع أزهاري في الخلق على سماد فنائي. كما أكافح بجسدي الحي كي احول المادة إلى روح سرمدية وكي اتحول نجمة تموت ليبقى ضوؤها.

كفنان، أعي أهمية رسالتي الجمالية وخطورة دروبها، اسعى بتواضع خَفِر للحفاظ على توازن دقيق، بين ما تزودني إياه موهبتي الحرّة المتحررة والمتفلتة من سائر القيود والحواجز الدينية والاجتماعية، وبين جلالة الخالق وعظمة خلقه واستحالة تخطي المحظورات والفروقات. اصادق ربّي وأسمح لذاتي، بحكم البنوّة، بأن اتجرأ واتطفّل على هيبته وسلطته في الخلق، محاولاً بعنايته ان أغامر في لجج الابتكار والخلق، متكلاً على صلابة ارادتي، قوة حدسي وصدق احساسي تجاه الاشكاليات والمواضيع الجمالية التي انفّذها رسماً ونحتاً. لذا فإنني لا أرى ان في ذلك حرجاً أو جرأةً متهوّرة أو جنوناً في العظمة، بل ارجع ذلك إلى تعاطي الأخلاقي السليم في عملي الفني وصدقه. حوار مباشر شفاف بغير وسطاء أو شركاء. حوار تتخلله اعترافات، بوح، مناجاة وعتاب. حوار من الند إلى الند في رحاب الفن الفسيحة، وفي آفاق الأفكار النيّرة.

الكومبيوتر ليس عدوّي لكني لستُ عبده

تتحدث دائماً عن التقدم التكنولوجي والاكتشافات العلمية التي غيّرت وجه الحضارة الانسانية الحالية، منذ اواسط القرن العشرين حتى اليوم. لكنك لا تلجأ إلى وسائل العصر التكنولوجية في حياتك اليومية. استعملت الأدوات والمواد الحديثة في محترفك، لكنك الى الآن تصر على عدم اللجوء إلى الكومبيوتر لأهداف أخرى. انطلاقاً من هذا الموقف كيف تتصرّف تجاه متطلبات الحداثة المتكاثرة في عالم اليوم وكيف تصف عالمك أو كيف تدبّر امورك المعرفية في قلب هذه الحداثة المتسارعة؟

ليس باستطاعة أي بشريّ يحيا على هذه البسيطة، أن يعيش خارج زمنه، حضارته، وبيئته، لأن الانسان اجتماعي بطبعه، يتفاعل مع محيطه ومعاصريه في كل المجالات الحياتية، الثقافية والعلمية. الفنان، واحد من الناس المصطفين بأدائهم الفكري والفني، يتشرب روح عصره ومجتمعه فيعكسه في نتاجاته التشكيلية المتفرّدة.

كفنان ولدت في أواسط القرن العشرين وواكبت الثورات التكنولوجية المعاصرة طولاً وعرضاً في أرجاء الكرة الأرضية، اتلقى نتائج هذه الثورات وتداعياتها الايجابية والسلبية في تبدلات وعيي الانساني وتنوّري الفكري والفني.
اتمتع برفاهية هذه الاكتشافات العلمية كما اعاني من سلبياتها المشوبة بالضجيج الفكري والتلوث البيئي، الذي حوّلنا كبشر، من كائنات ملتصقة بالأرض والطبيعة، إلى نماذج أخرى تدخل، بفعل التطور العلمي والتكنولوجي، في متاهات الضياع والتشتت، مبتعدين عن مصادر الحياة الطبيعية النقية. لقد فقد انسان هذا العصر براءة الأصل وانغمس في اغراءات الرفاهية والتقدم اللذين بدّلا في وسائل حياته فحوّرت اهتماماته وأقصته عن مصادر غناه الطبيعية. صار عبداً للآلة وما يستتبعها وتخلّى تلقائياً عن ممارسة الجهود ليبقى لصيقاً بما هو اساسي وأصلي.

انني ككائن اعايش هذه الفورات التكنولوجية العصرية المتسارعة، واستعمل مبتكراتها العلمية كافة، لا يمكنني ان ابقى خارج الزمن وخارج المنطق او ان امانع في استعمال مبتكرات العصر وادواته لأنني بذلك أتحول إلى عنصر معزول من الزمان وأُنعت بالتخلف والتحجّر. لكنني اكتفي بالضروري والمفيد منها لابقي تواصلي سليماً مع المجتمع والآخرين.

في مطلع التسعينات من القرن الماضي ومع رواج استعمال الكومبيوتر في المرافق الحياتية الحيوية كافة واحلاله بديلاً من وظائف ومهن عديدة، انتشر استعماله وراجت موجة جديدة بشّرت بعصر آخر للفن من خلاله، اعلنت احتضار الوسائل الاخرى المتبعة سالفاً. الآن، وبعد مرور أكثر من عشرين عاماً على استعمال هذا الاكتشاف العصري، تبين أنه مجرّد أداة أضيفت إلى أدوات الفن السابقة وتكشّفت محدودية آفاقه بعيداً عن نبرات الاحساس المبدعة المتولدة من تعاطي الفنان المباشر مع الأدوات والمواد. الكومبيوتر عنصر مساعد ومسهّل في بعض النواحي، لكنه لن يحلّ مكان الفنان المبدع وتعاطيه الفوري مع المواد وبالتلاصق الجسدي المباشر والملموس بخلجاته الانسانية. لن ينتج فن حقيقي من جرّاء البرمجة المسبقة مهما علا شأن تلك البرامج التابعة اصلاً لعقل الكائن العصري. الفنان هنا هو المبرمج الأول لا المستعملون لتسهيلات تلك البرامج التي تصير مستهلكة وبعيدة عن شرارة الابداع.

استغلّ في عملي كل التسهيلات التي توفرها الوسائل الحديثة للاكتشافات العلمية، واعتبرها عناصر جديدة في وسائطي وأدواتي المهنية والفنية. كما اوظف التقنيات الحديثة لنشر أعمالي في هذا الكون المعولم، لذلك أنشأت موقعاً خاصاً بأعمالي الفنية بكل مراحلها فأكون بذلك قد ابتدعت متحفاً افتراضياً لأعمالي هو في متناول كل انسان في العالم لكي يطّلع عليها كلها ساعة يريد.

أحس نفسي في قلب الحداثة والعصر ولست غريباً عنه. استعين بخبرة الجيل الجديد بمن فيهم أولادي لكي يكون تواصلي وحضوري الفني موجوداً في كل زمان ومكان. لم أنغمس كثيراً في التقنيات والوسائل الحديثة لأنني اعتبر ان ما نشأت عليه من تقنيات ووسائل تقليدية يتناسب مع مزاجيتي واحساسي

ويتلاءم مع عاداتي وأعرافي ومهاراتي المكتسبة عبر التجارب والسنين. لكن هذا الأمر لا يمنعني من مواكبة ما يجري حولي لكي انتقي كل ما يسعفني على اكمال مسيرتي الجمالية والتواصل مع الاخرين في كل العالم.

أسرار المهنة

عندما يقف الفنّان أمام قماشته البيضاء، يقيس المساحة الممتدة في الفضاء بطريقة رؤيوية وليس بالسنتيمترات. هل من اختلاف في التعاطي مع عملك رسماً وتلويناً بحسب مساحة القماشة أو الورقة أو الخشبة المحضّرة أمامك؟ هل تتنوّع الأحاسيس اللونية وتتبدّل مع بنية التأليف، تبعاً لقياس اللوحة؟ أي مدىً يريحك أكثر وأين تفجّر انفعالاتك بقوة أكبر؟

اشكالية المساحة تطرح عوامل عدة في بنائية التأليف للعمل التشكيلي. منها: الطبيعة المادية للمساحة، نوعية المواد والأدوات المستعملة، الحيّز المحترفي أي المكان الذي يتم فيه تنفيذ العمل، الاداء الجسدي للفنان، الوقت الذي تستحوذه المساحة لإنهاء العمل والاستعداد النفسي لدى الفنان.

1- الطبيعة المادية للمساحة: من المعروف ان الفنان يستعمل أنواعاً عدة من الحوامل ليلوّنها ويرسمها، منها الورق، القماش، الخشب، وأحياناً يستعمل الزجاج والبلكسي ومواد أخرى معدنية. لكل نوع من هذه الحوامل امكانات تحدد الحد الأقصى للمساحة المتاحة وخاصة الطول والعرض والسماكة والوزن. عندما اختار نوعاً معيناً من هذه المواد عليّ الأخذ في الاعتبار الجدار أو المكان الذي سيعلّق عليه، كذلك ارتفاعات مداخل العمارات التي سيدخلها هذا العمل.

أ- المساحات المرسومة على ورق أو كرتون، تكون صغيرة أو وسطية تبعاً للحد الأقصى لإمكان تصنيع الورق وتبعاً لوزن الإطار والزجاج لإلزامية استعمالهما حفاظا على الورق والكرتون ولوقاية الألوان المستعملة أيضاً. وهي إمّا ألوان مائية وإما من الغواش والأحبار وأحياناً الأكريليك والكولاج. في هذا النوع أنفّذ أعمالي على طاولة أو أضعها على الشوفاليه بعد تثبيتها على خشبة. أجلس على كرسي مستعملاً الأدوات الصغيرة والمتوسطة من فراش وريش وأقلام، ومستعيناً بأصابع يدي وأحياناً ذراعي. هذه الحوامل لا تتطلب حيّزاً

مكانياً واسعاً بل يمكن تنفيذها في أي مكان من المحترف أو المنزل.
ب- في المساحات المرسومة على قماش أو خشب، أتمكّن من اختيار القياس الذي يناسبني ويناسب مزاجيتي وإحساسي في أعمال صغيرة، متوسطة وكبيرة. طبيعة القماش والخشب تسمح بتنفيذ أعمال ذات قياسات كبيرة نسبة الى المكان الذي سيحتضنها. هنا في استطاعتي أن ألوّن قماشتي من دون شدّها على إطار خشبي لكي أتمكّن من السيطرة على المساحة ولفّها ساعة أريد. في هذا النوع أستعمل مواد مطواعة تنشف بسرعة كالأكريليك للطبقات الأولى، وأستخدم الألوان الزيتية في بعض الأحيان في آخر طبقة. أستعمل هنا فراشي كبيرة ومشاحيف ودواليب مطّاطيّة تساعدني في سرعة الاداء والتنفيذ.
ج- المساحات المرسومة على حوامل أخرى كالمعدن والبلكسي، تتبدّل بحسب المادة، كما أعالجها بالأكسدة في حالات المعادن وأستعمل الألوان العاجية لمادة البلكسي.

2- نوعية المواد والأدوات المستعملة: لكلٍّ من مواد التلوين طبيعتها وخصائصها المميزة، تتناسب مع مساحة محددة، كبيرة أكانت أم صغيرة. فالألوان المائية (الأكواريل والمواد الصمغية) للمساحات ذات القياسات الصغيرة على ورق أو كرتون، وتصلح مادتا الأكريليك والزيت لكل المساحات والأحجام. أمّا الأدوات فتتبدّل وتتنوّع تبعاً لكبر المساحة المرسومة والملوّنة أو صغرها.

3- المحترف: هو المكان الذي استخدمه لتنفيذ أعمالي باختلاف أنواعها. شيّدته خصيصاً ليستوعب المساحات الكبيرة والارتفاعات العالية نسبياً لأن ذلك يحررني في خياراتي الفنية. وهو ذو شبابيك كبيرة تؤمّن الضوء الطبيعي الكافي لرؤية عملي بشكل واضح وصحيح، كما انها تؤمّن التهوئة اللازمة لإزالة روائح المواد وتنشيف الأعمال.

4- الاداء الجسدي: مساحة العمل المشغول تحدد ادائي تجاه المساحة الملوّنة. ففي الأعمال الكبيرة أحرّك كامل أعضاء جسدي بشكل حرّ متكامل. أكون واقفاً ويدي تدور على العمل من رأس الكتف وصولاً إلى بصمات الأصابع،

بخلاف الأعمال الصغيرة التي لا تضطرني الى تحريك أكثر من أصابع يدي فقط.

5- الوقت الذي تستحوذه المساحة لإنهاء العمل: هنا تختلف مقاييس الزمن بحسب طريقة التعاطي مع المساحات والألوان والأدوات. فأحياناً أتمكّن من انجاز لوحة ما بقياسات كبيرة في مدّة وجيزة، وفي حالات أخرى قد يستغرق تنفيذ لوحة صغيرة وقتاً طويلاً ومعاناة أكبر. أمّا في الحالات العادية فالمنطقي هو أن يتبدّل الوقت ويطول نسبة لكبر المساحات الملوّنة والمرسومة أو صغرها.

6- الاستعداد النفسي: يلعب هذا العامل دوراً أساسياً وجوهرياً في متاهة الإبداع، لأن الرغبة الشديدة للعمل التشكيلي هي مفتاح أوّلي للدخول في العراك الفني وتخطي الرهبة التي توجدها المساحة البيضاء. هذه الرغبة الممزوجة بالشغف والشبق تجعلني أتخطّى حواجز التنفيذ الفني ومشقاته، وتجعل الوقت المهدور فرصة لكسب اللذة الآنية، بما يجعل فعل الخلق لديّ مجالاً للتأمل والتصوف والصلاة. هذا ما أبتغيه في الدرجة الأولى من الفعل الفني الذي يسبق بأهميته النتائج المادية البصرية له.

في النهاية، يبقى العمل الفني، مهما تبدلت قياساته ومساحاته أو تغيرت مواده وأدواته، مجالاً لتنفيس وتسرّب وانطباع وتثبيت ما تنبئ به وتجيش به دواخلي من مشاعر وأفكار ورؤى، تصدر عنّي ومنّي في زمن معيّن وبمواد محدّدة ذات قياسات تحدّدها رغباتي وانطباعاتي.

لا يقيّم العمل الفني بكبر مساحاته أو صغرها، بل هو فعل خلق له حيثياته النفسية المتشابكة المتفاعلة لدى الفنّان الخلاّق. وإن يكن للمساحات والأحجام الكبيرة أساليب وطرق خاصة لمعالجتها، فإنها تبقى عوامل هامشية لا تقف حاجزاً أمام نبع الخلق. لذا في استطاعتي ان أجزم أن لكل حالة جمالية ظروفها وأسبابها لكي تتظهّر أعمالاً تختلف في قياساتها وموادها تبعاً للمزاج الفنّي لكل فنّان. أمّا أنا، فإن الامداء الواسعة تريحني وتحررني من قيود المساحات الصغيرة وتطلق العنان لجنون اللحظة الجمالية التي أعيشها لكي تنطبع بأبهى حللها المحمّلة نتائج حركات يدي المتقلّبة والمتموجة في المدى مع تدرّجات الألوان والخطوط والخربشات واللطخات الهوجاء خلال اللحظات الهاربة والهواجس العابرة المعبّرة عن تفجّرات الذات.

مفتاح الآخر إليّ

عندما تلجأ إلى محترفك، يشعر من يراقبك انك تنضوي إلى وحدتك الأجمل، وعندما تلوذ إلى أحضان حديقتك وذكريات طفولتك، يشعر من يراك، انك تعيش وحدتك الأنقى والأصفى. كأنك تعطي الوحدة معاني لا نجدها عند عموم الناس في الحياة اليومية. بعيداً من الصخب وضجيج العالم، وحدتك نبع الهام ونسمات خلق وأطياف أحلام منوّرة. ما هو مفهومك للوحدة؟ كيف تعيشها؟ وكيف تنطلق منها نحو الآخرين من حولك، محمّلاً الفرح تلقيه في عيون المتلقي؟

تتلوّن حياة الانسان أحياناً بتفاصيل معيشية صغيرة ودقيقة، قد تبدو للبعض غير ذات أهمية، لكنها تشكل له جوهراً، مبدئياً طاغياً، تلاحق مفاعيلها مسيرة حياته. من هذا المنطلق يبدو واضحاً أثر الوشم الريفي في خبايا أناي العميقة لتكويني، الفكرية والفنية، المرتبطة بالأرض والتشبث بها ملاذاً جسدياً وروحياً حاضناً، حامياً، محفزاً وموحياً، في سياق ديناميكية ثقافية، فكرية وفنية ترعى هذا المسار الخصوصي. ما أطرحه هنا هو البساطة: بساطة العيش المجبول بروح الأرض والطبيعة، ومراقبة حراك تجددها المستعاد والمتكرر دوماً برؤىً جديدة وبتشكيلات متطورة. بساطة التعاطي مع الآخرين وفهم خصوصياتهم لاستيعاب مستلزمات التواصل الاجتماعي الملزم معهم. بساطة القبول، التراجع، الانزواء، وأحياناً الرفض. ذلك كله لحماية طاقتي الخلاقة من التشتت والضياع ولاستيلاد أجواء ملائمة مريحة، منيرة ومتكاثرة. لحظات الخلق حالات قيّمة، عليّ التقاط توهجاتها وتجلياتها في هنيهة من زمن لا تتكرر: بالشكل، بالقيمة، بالإيقاع وبالتأثير. من أجل ذلك، ألوذ بوحدتي في الطبيعة وفي المحترف وأنصرف إلى التأمل متمتعاً بما يحيط بي في أحضان حديقتي الواقعة في هذه البقعة المحددة من الأرض والتآلف معها مكاناً وعيته وعشت فيه

منذ الولادة، وأفضّله على أي مكان آخر في الدنيا. أهمية هذا المكان عاطفية ممزوجة بيوميات حياتي الماضية والحاضرة. كما انها ذات قيمة مادية بما تقدمه وتجود به من خيرات تمتعت بلذائذ فواكهها، خضارها، مائها وهوائها. انها أرض الحلم والسهر، أرض الانتظار والتحولات، أرض الألوان والروائح، أرض الحشائش والشجر، أرض القمح والسنابل، أرض النمل والديدان، أرض الثعالب والعصافير، أرض الغيوم والمطر، أرض الفصول والتجدد، أرض الرماد العائد، أرض الأجداد، أرضٌ هي منبتي وتربتي. ألجأ اليها، أتوحد معها وأجد فيها فرحي. وحدتي، المتنورة المنسوجة بغبار التراب وأريج زهره، أملٌ أستنجد به فأخلص.

حديقتي الصغيرة نموذج للأرض الأم التي أحافظ على سحر نقاوتها وبدائية جيولوجيتها. حديقة تفوح من روح ترابها نسائم تعطّر الأنوف. حديقة تتشكل كل يوم بألف زهرة ولون. حديقة تتدرج ظلالها غنجاً مع توجهات النور. حديقة تعيش وتتنفس في وجداني مؤججةً في دواخلي شعلة الخلق المخصب.

حين ألجأ إلى حديقتي أعود إلى ذاتي. أنفرد في وحدتي مع ما تشي به الفراشات والطيور، مع ما تبثّه أوراق الأشجار وأغصانها من توترات لونية، مع ما توحيه الغيوم من أشكال مرسومة ومتحركة، مع ما يخطفه الليل من تدرجات وما يبدده من تفاصيل، ومع ما ينثره من هدوء وأصوات وحشرجات. تأملات ومناجاة، تصدّرها الوحدة إلى تلك المساحات ذات البياض الموحش وتزرعها في تلك الصخور الهامدة الباردة لتنشر فيها نبرات مضيئة وتحرك جمادها.

وحدتي في محترفي هي تتمة لتلك في الطبيعة. في المحترف تتجسد التصورات والأفكار بحضور اللون والحركة، الخط والحجم. من خلال المادة المسحورة بمفاعيل التأملات العميقة الصادرة عن وحدتي المولودة، تتحول الألوان من عجائن نائمة في أنابيب مقفلة معتّمة، إلى نسائم حيّة تكهرب المساحة وتضيء كيانها بالإيحاء والمعنى فتتثبّت حركة اليد والجسد في قلب هذه المادة معطيةً خطوطها وألوانها سمات ونبضات، ولأشكالها صورا نهائية في الفضاء.

أعيش وحدتي وتأملاتي بشكل طبيعي ودائم لأن في ذلك راحة منتجة تبلغ الأهداف الجمالية المبتغاة. وحدتي تنعش روحي، تجدد صفائي، تخصب مخيلتي وتؤطر خلقي.

الوحدة اختلاء بالذات لاستعادة مخزون التأملات وسكبها في قوالب تشكيلية مبتكرة معبّرة باحتفالية تجريبية معقّدة تجدد نفسها كل مرّة وتنتفض بسحر اليد المختبرة، بتلمس الاحساس وبتوجيه العقل.

الوحدة إطار ضروري لإلغاء التأثيرات الخارجية ولإستيلاد أجواء سليمة مناسبة لانطلاقة قطار الخلق.

أفهم الوحدة استفراداً لموادي ولمشاعري واقتناصاً لطرائد الخلق ذات الجمالات الفريدة فأمارسها بشعائر فنية لها أصولها، وأجواؤها، متطلباتها وأوقاتها. وحدتي نبع وحي، تفجر خلق، تألق أحلام ورؤىً ومصدر قلق ورضىً. أنطلق منها إلى الآخرين عاكساً أجواءها الحلمية الخلقية المحمّلة فرح الولادة. **عندما أنتهي من عملي في وحدتي أجدني أسعد انسان فأنشر هذه الغبطة في محيطي الأسري والمجتمعي.**

حين أنزوي في عزلتي الفنية، التي صارت عادة وحاجة شبه يومية، لا أقصد من خلالها الابتعاد عن الناس والمحيط كرهاً، تكبراً وهرباً، بل تلبية لنداءات الخلق المشتعلة في كياني التي تحرضني على التفتيش عن خباياها لاقتناص جمالاتها. هذه الجمالات تنتقل حكماً من مشاعري إلى عيون القريبين والمتذوقين في الحاضر وفي المستقبل لتبقى شواهد مجسدة باللوحات والمنحوتات والتجهيزات والتجميعات، تزرع الفرح والجمال في الآخرين ممن يجيدون قراءة لغة الفن والتمعن في خبايا مضامينه.

نطفة السيراميك

أمضيت في روما سنتين ما بين 1975 و1977، درست خلالهما فن السيراميك، لكنك خلال مسيرتك الفنية، لم تعتمد هذه المادة عنصراً أساسياً في التعبير. لماذا؟ ما الفرق بينها وبين المواد والتقنيات الأخرى؟ كنت تردد بين حين وآخر «بكرا بعدين لاحق اشتغل سيراميك لمّا ما بيعود فيّي انحت بالمواد الصعبة» وتبتسم! حدّثنا عن علاقتك بهذه المادة وكيف تراها، هي التي تجمع بين النحت والتصوير؟

من بداياتي الفنية، ومن زمن وعيي بأهمية ما انخرطت به، أيقنتُ، متهيباً، وعورة دروب الفن وخطورة متاهاتها. لذلك شعّبتُ المسالك التقنية والجمالية التي ساهمت في تظهير شخصيتي الفنية المتنوعة في بوحها الجمالي. لقد ظَهّرتْ نشأتي الفنية الأولى، ضمن بيئة مجتمعية محدّدة، صورة النحّات في كياني الانساني. وخلّفت، متابعتي لدراسة التصوير الفني، في عمق هذا الكيان، بذوراً لهواجس الرسام – المصوّر وانغماساته في مصطلحات اللون والنور والأبعاد. من هذا التباين الشكلي لبنيان شخصيتي الفنية، تولدت تساؤلات مشروعة حول الخصوصية التي ستسلكها هذه الشخصية. فتبادرت إلى قناعاتي، في حينه، مسألة الجمع بين الحجم واللون وتوحيدهما في أعمال مشتركة. راودتني فكرة التخصص بفن السيراميك، المعروف بأنه حجم من الطين المشوي على أنواعه، يتدثّر بأوشحة الألوان العاجية والأوكسيدات المعدنية الطبيعية المتوحدة، بالذوبان والالتصاق، مع أحجامها بفعل حرارة النار المرتفعة.

بعد اختبارات وتجارب عديدة ومتنوعة في فن السيراميك، توضحت لي حقائق تأكدت من خلالها بصوابية توجهي نحو المواد التي تمكنني السيطرة عليها واستنباطها من توليفات تحررني من مصادفات النار وعشوائيتها وتفاعلاتها في تشكيل المزيج النهائي جمعاً لتراب مشوي، تَحوّل فخّاراً، مع العاجيات

والاوكسيدات الملونة. لهذا السبب ولخصوصية شخصيتي، المنحازة للبحث عن مآلات المواد الابداعية واعطائها أوجهاً جديدة ومصائر مختلفة، ابتعدتُ عن العمل في مادة السيراميك وانخرطتُ في اكتشافاتي الفنية الجمالية الغالية التي جاءت نتيجةً لتعمقي التجريبي في كل مواد الحجم واللون من دون استثناء. وقد أثمرت تلك التجارب والمحاولات، ولادات باتت عناوين خاصة بأسلوبي وبمسيرتي الفنية وهي: اللوحة المنحوتة، القماشة المنحوتة، المنحوتة الملونة، إضافة إلى التركيبات والتجميعات التي وحّدت العناصر والأشكال والأحجام والألوان في عمل واحد. استعضتُ بهذه الابداعات عن العمل في فن السيراميك الذي يبقى في ضميري الخلقي هاجساً لا ينتسى لأنه أيقظ المخبّأ في لا وعيي التشكيلي وساهم أولاً في ايجاد ابتكارات فنية بديلة منه وباتت سِمَات مميزة في انتاجي الخلقي.

لا أعلم ما يضمره المستقبل لهذه المادة. فالأحلام والتجارب كثيرة ومتنوعة لا تنتهي وربما يأتي اليوم الذي أركز فيه جهودي لخلق أوجه جديدة لها. المثير في هذه المادة ان ظاهرها سهل، بينما تحدياتها صعبة ومفاجئة تتطلب تجهيزات ومواد وطرق تنفيذ كثيرة ومتشعّبة، من أفران دقيقة الحرارة وألوان عاجية وأوكسيدات معادن تلزم صاحبها العمل كصيدلي في مختبر الحجم واللون المتزاوجين بسحر النار وعجائب مصادفاتهما. تروقني هذه المادة، لأنها أولى المواد التي قادتني وفتحت لي آفاقاً ودروباً تشكيلية، وثانياً لأن عناصرها من تراب ونار وما يجري من تحولات في طبيعة المواد نتيجة تفاعلهما من تمازج عضوي بين الفخار المشوي والألوان، من دون امكان تداركها أو السيطرة عليها أو توقع نتائج تدرجاتها النهائية قبل الانتهاء من عملية الشواء. أي ان المصادفة تلعب، هنا، دوراً مهماً، على الفنان توظيفها في اختبارات لاحقة تمكّنه من تحاشي الهفوات وبالتالي السيطرة على الألوان وملاءمتها مع المواضيع المطروحة.

علاقتي بهذه المادة تنبع من تعلقي بالمواد الطبيعية المستخرجة من الأرض لتتحول بفعل الخلق أشكالاً وألواناً تنادي الجمال وتطرب العين وتغني الفكر. لهذه الأسباب أدخلتُ بعضاً من السيراميك في أعمال التجميع التي أنتجتها في

الفترة الأخيرة لتسبغ عليها مسحة متألقة بالضوء والتوهج. كما أن اختباراتي النحتية تبدأ دوماً بعجن الطين وتكوينه وشيّه مقدمة لمراحل جديدة في نحت الصخور والأخشاب والمواد الصلبة. من هذا المنظور تصبح مادة السيراميك، أو الفخّار المشوي والملوّن أحياناً، أُماً للبحث الفني ومقدمة لمراحل جديدة في مساراتي الجمالية.

هذا سرّ الشخص الواحد المتعدد

من الصعب أن يُوفّق الفنان بين حياته في محترفه، في المجتمع وفي حياته الخاصة. فلكلّ شقّ متطلبات وشروط وتضحيات، لكنك استطعت ان تجمع في حياتك ما بين ساعات الخلق في صومعتك الاختبارية والأوقات الحميمة مع عائلتك وساعات التدريس ومسؤولياتك الجامعية الأكاديمية والنقابية، وذلك منذ أكثر من ثلاثين سنة. إن أعمالك الفنية تشهد لتألقك. كما ان زوجتك وأبناءك يشهدون لنجاحك كزوج محبّ وأب عطوف حاضر دوماً في يومياتهم. طلاّبك وزملاؤك يقدّرونك كثيراً ويتحدثون بإسهاب عن قدراتك وعطاءتك السخية. ما هو سرّك؟

حياة الانسان وحدة متكاملة. تشعباتها، تفاصيلها، تحدياتها، تجتمع في كائن ما لتحدد، في الخلاصة، الصورة النهائية لشخصيةٍ ذات خصوصية تميزه عن باقي البشر، فناناً أكان أم انساناً عادياً. حياتي في المجتمع، والعائلة، والمحترف، وفي أي مكان، هي وحدة متراصة متواصلة. كل تفصيل فيها يغني الآخر ويكمّله. في الشق العائلي والمجتمعي أتواصل مع الأقربين والأبعدين بروح المحبة المتسامحة، المعطاءة والمتعاطفة مع حاجاتهم ومتطلباتهم لخدمتهم وتقديم العون لمن هم بحاجة لدعمي وخبرتي وامكاناتي. هذا العطاء الانساني هو نفسه ذلك الزخم الخلاق المتجسد في أعمالي الفنية المولودة في حنايا المحترف. ما يميز مسيرتي الفنية، هو التواصل الدائم والمتشابك بين الحياة والفن. تداخل يظهّر الفن امتداداً لمساحات معيشية انسانية ثرية بحميميتها وصدقها. مساحات يختلط فيها الشخصي بالعام لتصير هواجسي، أحلامي، وتطلعاتي، صورة لبيئة في وطن له جذور، تراث وحضارة، لأجسد وامثل بذلك ضمير الجماعة بطرق فنية مبتكرة ذات أبعاد انسانية خلاقة.

في عائلتي الصغيرة أزرع دوماً روح الشجاعة المقدامة المرتكزة على

القيم الخلاقة والأخلاقية، أشجع أولادي للمضي في الحياة من دون تعقيدات المجتمع، وللخروج على كل ما هو بال ومتخلّف. أدفعهم للتعاطي مع الآخرين بنبل وجرأة واستقامة. أبث فيهم حب الوطن، التعلق بالأرض والحفاظ على الكرامة الشخصية وعزّة النفس. أهتم بهم وأحميهم من مفاسد الشر المتكاثر في دنيانا. احصّنهم ليكونوا اقوياء متنورين ومشعّين في محيطهم، كلٌ بحسب توجهاته ورغباته الهادفة. لقد أمضيت الكثير من الأوقات بمعيتهم. رافقتهم ثانية بثانية منذ ولادتهم ولغاية اليوم. أمّنت حاجياتهم المادية وقوّيت معنوياتهم بالتعاون مع أمّهم في إطار عائلي سعيد، هادىء ومستقر. لقد ساهم التجانس العاطفي والفكري مع زوجتي مساهمة أساسية في تأمين الأجواء العائلية الصحيحة والمريحة، والحوار هو عنوان دائم، في سبيل الأحسن، لإعطاء النموذج المتكامل لتعاطينا بعضنا مع البعض الآخر في إطار من تبادل الأدوار وتوزيع المهمات للسهر على راحة أبنائنا الأعزاء، وتحصينهم عاطفياً وعلمياً وثقافياً لجبه صعاب دروب الحياة ومفاجأتها.

أمّا في مجالات عملي الأكاديمي الجامعي في كلية الفنون الجميلة، فقد أمضيت أكثر من ثلاثين عاماً في خدمة أجيال متعاقبة من ممثلين ومعماريين ومهندسي ديكور وتشكيليين، أعدادهم بالآلاف. حاولت طوال تلك السنين نشر لغة الفن والجمال من خلال تدريس مبادىء التقنيات الفنية واعطاء الطرق المبسطة لطلابي، الآيلة إلى التمكن من اداء تلك التقنيات وفهمها للتعبير بواسطتها عن هواجسهم وقلقهم. انها مهنة شاقة، رسالة تدريس الفن ومبادئه، لكنها مشوّقة وفيها شغف لاكتشاف المواهب الخلاّقة وتدريبها على اصول تؤدي إلى زرع الوعي الجماعي. لقد تمكنت بطريقتي، المؤاخية والسلسة، ان اجعل من دروس الفن، لعبة مغرية ومفيدة تتخلّلها، زيادة على الشق التقني المحض، توجيهات ومعلومات تبث في الطلاب حب المغامرة والتعلق بالقيم الجمالية الانسانية المستندة إلى تجاربي الشخصية في مقاربة الفن ومغامراته.

في الشق النقابي من اهتماماتي، فإنني قد وعيت باكراً مأساة الفنان في حياته ومماته، وأدركت مدى النقص الفاضح في قضايا الفن التشكيلي وبفنانيه

في مجتمعاتنا العربية، فخصصت جزءاً من وقتي لمحاولة النهوض بحراك نقابي بدأته في جمعية الفنانين اللبنانيين للرسم والنحت عام 1980. من خلال هذه الجمعية لاحظت لا مبالاة الفنانين بأوضاعهم الجماعية ونزعتهم الفردية البعيدة كل البعد عن الحس التضامني. لذلك ظلّت هذه المؤسسة اداة هامشية في الحياة النقابية الفعالة، فاقتصر دورها على الجانب الفني في تنظيم بعض المعارض والنشاطات الثقافية المحدودة الفعالية. عندما ترأست هذه الجمعية عام 1998 قررت النهوض بدورها لتطويره وجعله اداة نقابية حقيقية في امكانها مجاراة النقابات الفنية الاخرى، فشرعت بالدعوة إلى تشكيل هيئة تأسيسية من خلال نقاشات وحوارات مطوّلة اجريتها في مقر الجمعية لتدارك ما فات، وعملت، بإصرار وعناد، وحيداً، في جوّ من المحاربة واجهتها من بعض صغار النفوس وعديمي الرؤية. توصلت إلى استصدار قرار من وزارة العمل بإنشاء نقابة للفنانين التشكيليين اللبنانيين عام 2002. ترأست هذه النقابة وأخذت لها مقراً وعملت مع رؤساء النقابات الفنية الاخرى على تحضير قانونٍ ينظم النقابات الفنية واقراره، وينشىء صندوقاً للتعاضد يشمل جميع الفنانين على تنوعهم. بعد صدور قانون انشاء هذا الصندوق تنحيت عن رئاسة النقابة إفساحاً، لغيري، في العمل لإكمال الطريق وكي أتمكن أنا من التفرّغ لفنّي ومحترفي.

وجودي قائم في الوقت نفسه، في العائلة، المجتمع، المحترف، الجامعة، والنقابة. أوزّع اهتماماتي بتنظيم دقيق وهادف.

لقد استطعت لغاية اليوم التوفيق بين تلك الأمور والنجاح فيها. أُسأل عن السر من تمكني القيام بهذا كله دفعة واحدة؟

الجواب بسيط لأنني انظّم الوقت وأعطي كل توجه حقه من الجهد والتخطيط. اعرف كيف اتعاطى مع الأمور ومع من اتعاون لإنجاز الأهداف ضمن عمل جماعي منظّم ومدروس. أثق بالآخرين وبتعاونهم وأوظف طاقاتهم لخدمة التوجه المبتغى. أبث فيهم روح الحماسة والتشجيع. نجحت في أمور كثيرة ضمن الامكانات المتوافرة في بلدنا. استبعد اليأس وأجدد السعي لشطبه بكل إحباطاته وصولاً إلى الهدف. أؤمن بأن النجاح قد لا يأتي

من المحاولة الأولى فأجرّب من دون كلل، خصوصاً في الأمور العامة، لأنها تتطلب جهوداً متواصلة ومحاولات متكررة.

من ناحية اخرى قد يعود سرّ نجاحي إلى طبيعة شخصيتي وطبعي الديناميكي المتحرّك في كل الاتجاهات وإلى موضوعيتي في دراسة الملفّات ومقاربتها بعقل منفتح وترويجه بانفعالات الفنان الرؤيوية المبتكرة. الجرأة والايمان، بأحقية ما أقوم به لصالح الناس والفنانين والفن، يدفعانني إلى الحماسة والاقدام للقيام بما افعل من دون حسابات الربح أو الخسارة بعيداً من التبجح أو الخوف من نتائجهما. انني اندفع بإرادة ذاتية منزهة عن صغائر الأمور الغرائزية والفئوية التي تفسد من دون أي شك، كل توجه عام.

احاول ان اكون ذاتي، ذات الفنان المندفع في كل شيء، كما هي الحال في عملي التشكيلي بالحماسة ذاتها والمغامرة اياها. هذه اطباعي، هذه شخصيتي، هذه رسالتي، وسأبقى احاول ما دمت حيّاً وما بقيت مقتنعاً بأحقية عملي. أعلم جيداً وأدرك ان ما افعله بهاتين الجرأة والصراحة، يفيد في المجتمع وفي الفن بشكل خاص، لكن، في الوقت نفسه، لا يفوتني الاحساس بما يضمره بعض صغار النفوس والمتضررين، من ضغينة فيها حسد وسوء نية. قد يساورني شعور نرجسي حين يأتيني الاطراء من أصدقاء وطلاّب ومواطنين، لكن ذلك يشعرني أيضاً بجسامة المسؤولية تجاه العائلة والمجتمع والخلق الفني. لن أضيّع بوصلتي أو الغرق في تفاصيل الحياة والعمل، لأنني أوظف النواحي الايجابية من هذه الأمور للنهوض بمحترفي القائم على التأسيس والبناء الخلاّق لابتكار وتكوين عالمٍ جديدٍ متحركٍ متفاعلٍ مع الزمن والحياة.

ثالوثي المفدّى

يهدف هذا السؤال إلى القاء ضوء أكبر على علاقتك بأبنائك الثلاثة، سماح، ميراب ونيكولا، وقد اصبحوا اليوم رجالاً تفتخر بهم. هل يختلف الفنان في تعاطيه مع اولاده عن غيره من الناس وهو الخلاّق الذي يولّد في كل عمل عالماً من الأحاسيس ويفتح في كل يوم الأبواب على المشاعر الملوّنة والأفكار المنوّرة؟

أخبرنا عن مارون الحكيم الأب. كيف ربّيت ابناءك؟ على أيّ أُسس أنشأتهم؟ ماذا أعطيتهم وماذا أعطوك؟ وهل أضاف وجودهم في حياتك أشياء على فنّك؟

أنا إنسان متعلق بالحياة العائلية المبنيّة على المحبة والوئام. المحبة التي تغذّي روح التضامن والألفة بين أفراد العائلة الواحدة. هذه الروح العائلية تجعل المجتمع عالماً صالحاً تسوده الأخلاق والقيَم الانسانية. من هذا المنطلق، أهدف، إلى جانب هواجسي الابداعية، إلى بناء عائلة تكمّل معنى الحياة في الوجود. أنجبت ثلاثة شبّان أغنوا حياتي وأعطوا وجودي معاني تفوق في أبعادها أيّ معطياتٍ أُخرى.

الفن بالنسبة لي هو سبيل إلى المتعة، الخلاص، الابتكار، الهلوسة، الجنون، الهرب، والبوح بما يخطر على البال، ويطرأ لديّ من أحاسيس وأفكار وأحداث. أمّا الأولاد فهم جوهر ثابت انوجد من أعماق أسرار الوجود. هذا الجوهر هو ثابت خالد تكوّن من وجودي وبذوري، من دمي وروحي، ومن أحلامي السابقة للوجود. إنهم جوهر متكامل ينمو وحده مستقلاً بكيانه الحي ويحظى بكامل رعايتي لأنني مدرك انه اساس مستقبلي يعطي الحياة معنىً وسحراً يعلوان على كل شيء آخر.

الفن فعل ارادي يتغذّى من موهبتي، من سعيي ومن تبدل مفاعيل الزمن والظروف. أمّا أولادي فهم نعمة الهية خارقة يصعب إدراكها أو معرفة حيثيات حدوثها. إنهم جزء من هذا السر العميق الذي اوجد آدم وسليلته. لكن ما أدركه جيّداً هو أنني أمين على هذه الوديعة وأفدي ذاتي من أجلها.

لا يمكن المقارنة بين ما أفعله وأنجزه في الفن بإرادتي، وبين ما وهبتني إياه الحياة من أبناء. ربما يمكنني ان أشبّه أعمالي الفنيّة بأبنائي رغبةً مني بإضفاء الأهميّة القصوى على ما أفعل، لكن ذلك لا يعني أبداً انني أساوي بين الأمرين. العمل الفني يبقى أثري المعنوي في الوجود، أمّا أبنائي فهم استمراري المادي والمعنوي فيه. هم من دمي وروحي، همّ ذرات من كياني، فلهذا هم أسمى وأغلى ما في الحياة وما بعدها.

لا أدري إن كان تعاطي الفنان مع أولاده يختلف عن تعاطي غيره من الناس. لكنني متيقن من أحاسيسي نحوهم، وتشدّني اليهم رغبة من الحنين والعاطفة تجعلني اعاملهم بعناية، ذات خاصيّة، ربما تختلف في جوهرها عن تعاطي باقي الناس مع أولادهم. اتعامل معهم كلٌ بحسب شخصيته، ميوله، طاقاته ورغباته. افتّش في كل واحد منهم عن مزاياه الفريدة دفعاً بها نحو النمو والتكامل للتفرد والابداع. لكلٌ من أولادي الثلاثة مكانته لديّ : فسماح هو الابن البكر، معه اكتشفتُ معنى الابوة للمرّة الأولى، ومعه أصبح للحياة معنىً إضافي فصارت مسؤولية مدركة بالحب والعقل. سماح الطفل، الولد، الفتى، الشاب، والرجل، هو شخصيّة متألقة بالإحساس والموهبة، يتصدّر القلب نجماً ينير سماء أيامي. ميراب ذاك الرجل المعجون بسحر روحاني يتغلّب على الواقع شادّاً رحاله نحو الأعلى. فمنذ طفولته وهو منذور للرب. تصرفاته، إشاراته، ميوله، تشي كلها بتوق آخر بعيدٍ عن هذا العالم المادي المنظور. إنه موهوب للتفاني والعطاء ومنذور لخدمة الاله والبشر، وله في الفؤاد الاماكن المحجوزة دوماً للغنج والتدلل. أما الفتى الأصغر نيكولا المالئ دنيانا ببسماته وايقاعاته، فيتحرك ويتمدد في الحياة كأنه مولودٌ رجلاً أكبر من عمره. يسبق زمنه متكئاً على ضمّة وعيٍ خارق ورزمة ايقاعات تصعق الدنيا بحراكها المتصاعد ويزرع بسمته دفئاً عامراً بنبض الشباب وصلابة الرجال. له الحب في الصدر أرجوحة تجوب اصداء الروح وتحلّق في رحاب ولهي به.

لكلٍ من اولادي دربه الخاصة اختارها طوعاً بفضل رعايتنا، والدتهم وأنا، للتأكد من صحة توجهاتهم. رعاية بُنيت على حسن التوجيه المرتكز على قدراتهم،

مواهبهم وميولهم. دورنا نحن الاثنين كان ويبقى الاشارة نحو الاتجاهات الصائبة والخيارات الصحيحة تحت راية الحرية المؤدية إلى صوابية القرارات.

لقد ربيتُ أبنائي وانشأتهم على المبادئ الانسانية التي تجلّ الآخر وتحافظ على الكرامة الشخصية من ضمن الأصول والقواعد الاخلاقية والقوانين المدنية. وجّهتهم إلى احترام الطبيعة والمحافظة عليها والتمتّع بها. درّبتهم على تقدير الانسان ومساعدة الآخرين وحرّضتهم للعمل على تثقيف العقل وتطهير النفس وتطوير الموهبة واحترام الميول الطبيعية والسير بها طريقاً في الحياة من دون تعقيدات وقيود.

وجودهم في قدري نعمة خارقة. بهم اكتملت انسانيتي ونضجت عواطفي وتألقت ابداعاتي الفنية وتطورت فاكتملت امنياتي. وجودهم أغنى الحياة وأعطى كياني ابعاداً اخرى. اني اعشقهم وابذل من اجلهم كل الغالي والنفيس لكي يظلوا سعداء، اقوياء، نبلاء، وروادا افتخر بهم وبأعمالهم. هم أبنائي وأغلى الغالي، يهون فداؤهم لكي تبقى البسمة على وجوههم ولكي تحلو ايامهم وتتحقق أمانيهم. اعطيتهم ما استطيع وما احس وما أعرف، واعطوني حلاوة البقاء والرغبة في تقبل الفناء. انهم نغم الوجود وأصداء تتردد في ما بعده. حضورهم يضفي على حياتي وفي فنّي فرحاً ملؤه الأمل بوعود لا تفنى. لقد تحقق حلمي الأسمى معهم عاكساً ظلاله في مجمل أعمالي وكامل مسيرة حياتي...

زنبرك الحياة والفن

للمرأة في حياة الرجل مكانة أساسية، فهي الأم في البداية ومن ثمّ الرفيقة والحبيبة والصديقة والزوجة. حدِّثنا عن الأم وعن العلاقة الفريدة التي تربطها بولدها وعن حضور المرأة المتنوع في حياتك وفنك.

المرأة التي صرخت حين خرجتُ من احشائها والتي انعشتني بحنانها ودلالها وابكتني حين تركتني إلى العالم الآخر، هي أمي. يوم ماتت على يدي لم اكن ادرك هذا الكم من الحبّ الذي اكنّه لها. لقد احسستُ حينها كأن جذوري قد تقطعت وأوردتي تفجّرت وقد صرت يتيماً وحيداً في هذا العالم. لقد بكيتها بألم جارح لم اشعر به يوماً في حياتي حتى الساعة. أمي هي المرأة الاولى المحرّضة والمشجعة لي في دروب الفن، والخائفة الاولى من مطباته ومصاعبه.

لا شك ان للمرأة في فني وفي حياتي دوراً اساسياً يظهر جلياً في منحوتاتي ولوحاتي لأنها النبع والرمز الثابتان للتعبير عن انسانية الانسان بحالاتها كافةً: فرحاً وحزناً، سلاماً وحرباً، حبّاً وشهوة... هي الرمز في اعمالي والركيزة في حياتي. هي الحب والقلق، هي التوازن والضياع، هي المحرّض والمخيّب، هي الأمان والشرك، هي البانية والمدمّرة، هي الملهمة الأولى لي كفنان، استشف من ملامح جسدها وتضاريسه إلهاماً واشارات جمالية تغني اعمالي بسحر مفاتنها واغرف من روحها وحنانها الكثير من الدفء الانساني الأنثوي العابق بالحب والمحبة. لا بدّ لكل انسان خلّاق وسويّ ان يغوص في متاهات جسد المرأة لما فيه من جمالات وايحاءات تفعل فعلها في العمل الفني، وتعطره بنسائم الغنج والدلال حيناً، وبالشهوة والاباحية احياناً أخرى.

بالاضافة الى موضوعات الطبيعة، فإن اشكاليات الجسد وخصوصاً جسد المرأة، هي اساسات اولية لي كمحترِف للفن اتعمق بمهنة الخلق فأنهل الاشارات الاولية من مصادرها الواقعية، مضيفاً اليها رؤيتي الجمالية واسلوبي الفني. في

النحت والرسم والتلوين كان جسد المرأة ولا يزال العنصر الاساسي المعبّر عن الاشكاليات التي تعالج موضوعات الصلاة، الحرية، الامومة، العشق والالتحام... بأساليب تختلف من مادة إلى أخرى ومن مرحلة إلى مرحلة.

في الحياة كما في الفن تأخذني المرأة الى اماكن دافئة وحنونة، الى معابد الوحي المسكون بهواجس الحب والجنس والرغبة المنوّرة باحتمالات تنطلق منها اشارات تهدي الى دروب جمالية جديدة ويانعة. المرأة حاجة ملحة لي كإنسان وكفنان، ووجودها مكمّل لغاياتي المعيشية والروحية والجمالية. لذا فإن حضورها قدري وضروري لا استغني عنه ولا بديل منه.

لحبيبتي وزوجتي سمر، حضور خلّاق ومميّز في حياتي وفنّي. هي رفيقة الدروب الحياتية والفنية معاً، تقاسمني مسؤوليات وصعاب العيش اليومي بكلّ تفاصيله وتواكب مراحل أعمالي الفنية في محترفي. فهي الشاهد والمُشاهد الأوّل لولادة أعمالي كما إنّها المُحاور والمُحرّض والمحفّز لي لأُدلي بمكنونات ذاتي خارج النطاق التشكيلي قولاً وكتابةً.

شاعرة وناقدة تتقن قراءة العمل التشكيلي وتُدرك خباياه فتبتكر الأسئلة والتساؤلات حول مضامينه وتقود حواراتنا اليومية، نحن الإثنين، حول الفن والحياة فنغوص في متاهات النقاشات والحوارات المفيدة التي لا تنتهي.

لسمر مكانة كبيرة في القلب ولها الأفضال السخيّة على مكنونات عائلتنا، عنايةً، سهراً ومتابعة. إنّها كتلة من المشاعر والعطاءات ترفدنا بها نهراً فيّاضاً من دون حساب. سمر إمرأة متواضعة، متفانية، حساسة، ذكية، مؤمنة، مثقّفة وخلّاقة... كلّ هذه الصفات جعلتها تشتدّ وتقوى لبناء جوِّنا الأُسَري السليم المشيّد على الإحترام والتبادل والتقاسم لشؤون وشجون الحياة وجعلتها تصمد أيضاً في تحمُّل مزاجيّة زوج فنّان مخطوف بهواجس الفن ومتاهات أسفاره. لذا، فهي ركيزة متينة توازن بين متطلبات العيش الروتينية وبين الإلتزام بعمق الثقافة والفن المهيمنين على أجواء عائلتنا ومنزلنا والتي تشدّنا إلى مطارح تتحدى التقليد والأعراف فتَشي بالحرية الخلاقة.

العمل يُقرأ من عنوانه

لم تكن أعمالك الفنية يوماً تجريدية بحتة. يلتقط المشاهد إشارات مترابطة تبلورها أنت، بعنوان مرافق للعمل، يكون خير دليل للمتلقي. ما هو الموضوع في قلب العمل الفني؟ أهو فكرة أم رمز أم إيحاء أم اشارة مباشرة؟ وإلى أي مدى يخدم العنوان مسار اللوحة أو المنحوتة في واقعها التشكيلي؟

إن عملي التشكيلي ينطلق من اشارات العالم الواقعي ويدخل تالياً في متاهات تصوراتي وتخيلاتي الذاتية، الفنية منها والجمالية، ويصل الى ما انتهت اليه صورته النهائية معبّرةً عن هواجسي الانسانية والفنية في آن واحد.

تلمع فكرة عنوان العمل من الاشكالية الأولى لولادته. ومن ادرى من الفنان بأفكاره ومنابعه. لذلك أسمّي الأعمال بطريقة تعكس جو العمل في أساس تكوينه من دون تشويه أو تمويه لمصادره الحقيقية، فيأتي العنوان معيناً صادقاً للمشاهد لفهم فكرة العمل في اشكاليّتيه التقنية والجمالية ودليلاً من مصادره الموثوق بها التي تقيه آفة التكهن أو التبصير. النقطة الأهم في العنوان هي تعبيره بوضوح عن الأهداف المبتغاة من العمل الفني، وهذا العنوان ليس امراً منزلاً وفي امكاني تبديله شرط دلالته بوضوح عن المعنى ذاته أو الهدف عينه.

أمّا موضوع العمل الفني فهو المغزى والاشكالية المزمع طرحها من خلال هذا العمل فنياً، فكرياً وجمالياً. وهذا أمر اساسي جوهري لولادته وكينونته المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهواجسي واحاسيسي واهدافي من كل النواحي الابتكارية. لذلك هو يمثلني، تالياً اتبناه فأمهره بتوقيعي. العمل هنا يصبح كلاً متلاحماً مع عناصره وخصائصه المختلفة والمتنوعة فلا فكاك للموضوع أو المعنى الأدبي أو الفكرة عن الأسلوب والتقنية الجمالية لانها تشكل مجتمعة مصيراً واحداً موحداً لصورة العمل النهائية بما هو عليه وبما يمثله من قيم انسانية وجمالية لواضعه.

للأعمال الفنية قيم جمالية موحدة لا يمكن فصل اشكالياتها أو موضوعاتها عن جمالياتها وتقنياتها واساليبها بل تصبح بسحر يد الفنان كلاً منصهراً بفعل ادواته وصلابة ادائه.

يتبدّل طرح الاشكاليات والمواضيع بحسب الفنانين، فمنهم من يختصر الموضوعات بإشارات إيحائية أو رمزية، مباشرة أكانت أم غير مباشرة. هذا لا يهم، الأهم هو التوصل بكل هذه المفردات الى ايجاد كيان فني ناجح يوصل القصد الحقيقي لهذا العمل القائم في الزمان والمكان المحددين ويحمل اسم صاحبه وتوقيعه وقيمه الفنية الجمالية البحتة.

احياناً قد يخدم اسم العمل بعنوانه، اهدافه ومقاصده، واحياناً اخرى قد يحدّ هذا العنوان من جموح مخيلة المتلقي الفهيم ويبعده عن تخيلاته، تالياً الاستمتاع الحر بمساحاته الرحبة. لهذا السبب فإنني ادرس دائماً عناوين اعمالي، ولست بمتزمت لفرضها على المشاهد والمتلقي، وانني اتقبل فكرة تغييرها إن اقتنعت بصوابية البديل.

هنا لا بدّ، ختاماً للموضوع، ان اؤكد ايماني بأن العمل الفني بأحجامه والوانه واسلوبه وجماليته هو الاساس، وهو كلٌّ يصدّر، بعناصره وخصائصه، اشعاعاً جمالياً يُغني انظار المشاهدين الذواقة ويعفيهم من أي شروحات لغوية أو نقدية...

الكلّ في الكلّ

إن ابتكار اللوحة المنحوتة الذي بدأته سنة 1978 وتابعت تطويره حتى اليوم لم يكن وليد المصادفة، بل نتيجة لقلق وبحث وتساؤلات.

طراوة اللون وغناه، طواعية القماشة، قسوة الخشب أو عناده: ثنائية في الشكل، في التقنية، في المضمون، في الملمس والاحاسيس. حبّك للنحت وشغفك باللون خدما كثيراً هذه التقنية في التعبير. ولكن إذا ذهبنا إلى أبعد من الشكل والصورة والتلوين، هل تعكس اللوحة المنحوتة ابعادك الداخلية، طبعك، مزاجك، تكوين مخيلتك وعالمك الانفعالي؟

بِحكم نشأتي الفنية المؤسسة على المواءمة بين فنَّي النحت والرسم: كان لا بد لي من البحث الجاد، اربعين عاماً، لاستيلاد سبل ناجعة لجمع هذين الفنين في بوتقة تنتسب إلى عالمي الفني، تالياً التفرّد بأسلوب تشكيلي مميز، بات سمة من خصائص شخصيتي تلتصق باسمي وبتوقيعي. هذا في النتائج، أمّا البدايات فقد كانت مسألة التزاوج بين فنين متوازيين، في الخصائص والمواد والأدوات، اشكالية اقلقت مراحل بحثي الفني الجمالي في كل تنوعاته وتجاربه توصلاً الى اقتناعات مرحلية لا تزال خاضعة للتطوير والتبلور. هذا المنحى في البحث التشكيلي هو نتيجة القلق الابداعي الموشوم بطبعي، مزاجي، مخيلتي وعالمي الانفعالي المتبدل مع الحياة. البحث والتعمق في متاهات الفن واغواره، هوايةً واحترافاً، يميزان مسيرتي التشكيلية التي باتت حقلاً فسيحاً خاضعاً لكل أنواع الاختبارات والتبدلات المتآخية احياناً والمتنافرة أحياناً أخرى، توصلاً إلى المتعة الجمالية المسحورة ببريق اللحظات الخلاقة.

نفسي، منذ البدايات، منذورة للعبة الخلق ومجبولة بمتعها ولذائذها، بثوراتها وقلقها، بأفراحها وأشجانها، بكرمها وعقوقها. الأهمّ في هذه المعمعة هو الايمان بالخلاص من خلال الفن الصادق المشبّع ببصمات الذات المتبصّرة

الخلاّقة الواهبة الفنان وفنه بريقاً يدهش ويحفر آثاره في عيون البشر وتاريخ الفن.

بدءاً بفن السيراميك وصولاً إلى استعمالات الخشب والقماش والمواد المجمّعة والألوان، مروراً بتبديل الملامس والأحاسيس والأساليب والطرق والوسائل الفنية، بتُّ أشعر ان لفنّي هويّة تطبع قلقي وتساؤلاتي الفنية والوجودية في إطار خاص ومتميّز، لكنه متحررٌ وغير مقفل على ذاته، يرنو دوماً إلى الانفتاح على احتمالات واتجاهات خلقية متحولة في كل لحظة وآن، ما دام للحلم مساحاته الشاسعة وللجسد نبض وحراك.

مسألة التفتيش عن اسلوب خاص بات وراء سعيي الملحّ، أمّا عن المعاني والاشكاليات الجمالية المستجدة فهي هاجس دائم في تطلعاتي للتعبير الحر والصادق عن مكنونات النفس وما يحركها. هاجس يتجدد، مع تبدلات الحياة والظروف والأحداث، مولّداً تشكيلات الفن الهاجس بحراك حيّ.

إن المنحوتة واللوحة واللوحة المنحوتة وكل عمل تلامسه يدايَ، تعكس حركتي الداخلية المتولدة من الطبع والمزاج والحلم والتخيّل وتأثير الزمان والوقائع. لذا، فكل ما انتجه هو حصادٌ من الانفعالات والتجارب والرؤى، تالياً اتبنّى كل نقطة لون تخرج من ريشتي ومن اصابعي، وكل نقرة من ازميل يصدر عن مطرقتي ويدي لأن محصّلتي الفنية هي مجموع تلك التراكمات اللونية والنحتية المتمازجة والمعجونة بنسغ الأحاسيس القلقة.

النبع والملاذ

الطبيعة هي النبع، هي الملهمة والملاذ.

منذ وجِدَ الإنسان، الطبيعة جنّته الاولى، بيته وقوّته، ومن ذرّاتها يولد وإليها يعود.

الطبيعة بمكوّناتها من أرض وماء وما فيهما من كائنات ومخلوقات ونباتات، تشكّل المحرّض الأوّل والأساسي لكلّ عمليّة خلق يقوم بها مبدع، فنّاناً أكان أم شاعراً أم ما بينهما.

تؤشّر الطبيعة إلى المكوّنات الساحرة لمخيّلة الفنان وشطحات إبداعه.

الضوء، إبن الشمس والنار والمصادر الإصطناعيّة، عنصر خارق في الطبيعة، وهو المحرّك الأساسي لسحر ألوانها وتدرّجاتها، يومىء للأشكال وللألوان لكي تنوجد في العين، العين الثاقبة.

في الليل والنهار، في تتابع الفصول وفي تقلّبات الطقس والمناخات، تتحوّل الطبيعة الثابتة والمتحرّكة، بِفعل كيميائيّة الضوء، فتبعث بإشعاعاتها المضيئة والداكنة إشارات إلى مخيّلة الفنان الذي يلتقط إيحاءات رسائلها. حتّى في أحوال تعويل الفنان على عوالمه وقدراته الفكريّة والثقافيّة المجرّدة والبعيدة عن حقيقة الطبيعة، لا يمكن لإنتاجه الفني الإبداعي التخلّص نهائيّاً من تأثيرات رجعها وحفرها في كيانه الباطن ولاوعيه الساكن.

إذًا نحن مغمورون، موشومون، مسكونون، مهووسون، مدمنون ومبهورون بالطبيعة وبسحر عطاءاتها ومجالاتها وتأثيراتها في حياتنا البيولوجيّة والإبداعيّة على السواء. إنّه الخالق الذي أوجَد الطبيعة في الكون، ثمّ أوجَد الإنسان كي يتمتّع بمكنوناتها ويعيش فيها ويُبدع.

في أيّ وقت أو أيّ برهة من زمن، في أيّ ركن من الطبيعة أو أيّ تفصيلٍ تافهٍ منها، لا بدّ أن تكون الطبيعة محفّزًا ومصدرًا للتخيّل والابتكار.

كلّ الفنانين والشعراء وعلى مرّ العصور وتوالي التيارات والمدارس والاهواء الفنيّة، وجدوا في الطبيعة المحفّز الأوّل والمصدر الأوّل لكلّ عمل يحمل سمات إبداعاتهم.

عندما نتكلّم عن الطبيعة لا ننسى أنّ الإنسان هو مخلوق من لدنها ويُشكّل جزءًا منها، وبالتالي فإيحاءاته وتأثيراته على إنتاج المبدعين يمكن نسبتها إلى إيحاءات الطبيعة وتأثيراتها في الفن.

أنا فنّان وُلِدت في الطبيعة ونشأت بين أحضانها، أعود إليها في العثرات كي أشحن حواسي ومخيّلتي من غنى عناصرها: العطر، اللون، النغم، الطعم، الملمس والإيحاء.

هل شممتَ يومًا رائحة الياسمين أو القصعين؟

هل تأمّلتَ زهرة ملوّنة في الضوء؟

هل سمعتَ بلبلاً يهلّل في غابة؟

هل أكلتَ فاكهةً مقطوفة من شجرة؟

هل لمستَ عشبةً أو صخرة، أو وضعتَ يدك في ماء نبع؟

إذا فعلت ذلك كلّه أو بعضًا منه، فإنّك ستعرف حتمًا عمّا أتكلّم!

في كلّ المراحل والمحطات الفنيّة التي اجتزتها، كنتُ أمينًا للطبيعة وإيقاعاتها المحفّزة على الدوام. إنّها نبعي الدافق أغرف من سحر مائه.

في أعمالي الفنيّة رجعٌ دائم لمصادر الطبيعة وأصدائها. إنّها صديقتي في كلّ الأوقات أتأمّل عناصرها المتحرّكة والمحرّكة لطاقتي الإبداعيّة. أعيش فيها، أتأمّل مجالاتها، أغتني من غناها، أتنشّق رحابتها، أتبنّى حقائقها الصادقة، أغوص في تفاصيلها وأتأمّل عظمة خالقها وحكمته.

السماء، الغيم، المطر، الشمس، الليل، الجبال، البحر، العشب، الشجر، الماء، التراب، النار، الدخان، الحيوان، الحشرات، الإنسان... أسماءٌ تفعل فعلها وتحفر حفرها وتكتب لغتها من خلال دماغٍ يختزل ويُصغي فيلوّن ويرسم وينحت لغة الإختزال المشعّ.

عندما ألوّن أو أرسم الطبيعة، لا أقف أمامها بل أناجيها لأكرّمها ولأبعثها

نسيجًا آخر أحوكهُ من لغة الفنّ ذات الخصوصيّة. وعندما أنحت أشكال مخلوقات الطبيعة، لا أمثّلها صنمًا بل أبتكرها كائناتٍ تشهد للمخيّلة الخلاّقة، فتصير هي أصلاً لذاتها تتوالد من تحوّلات الأساليب والإبتكارات.

تفاجئني الطبيعة حين أصغي إلى دقائق بوحها، هذا البوح الملتقط من أعماق صفائي وفي حالات التجلّي والإنخطاف فقط. أوقاتٍ أو لحظاتٍ خاطفة هي تلك الملَكات الممهورة بتوقيع الخالق المعطي كلّ الرؤى.

ليس هرطقةً ما أقول أو تبجّحًا أو ادّعاءً. إنّها وقائع يشهد عليها ذلك الإنتاج الغزير من أعمالي وتلك المراحل المتعدّدة والمتشابكة في مسيرتي البحثيّة التجريديّة التشكيليّة.

أعترف بصدقّ أنّ ما قمت به ليس بفعل إرادةٍ إنسانيّة وحسب، إنّما تمّ ذلك بمَعيّة يدٍ خفيّة وقدرةٍ ساحرة تركت بصماتها ولمعانها على كلّ ما أنجزت. وإلاّ لما أمكنني تبرير هذا الفيض من الأعمال وهذه القدرة على المتابعة في الدروب الفنيّة الوعرة، ولكن المحبّبة.

الفن هو لعبة التأمّل الصادر من مفاعيل الطبيعة ومن سحر آليّات المواد والأساليب وتناغمها مع ذاتيّة المبدع الحقيقيّ. الفنّ تمجيدٌ لعظمة خالق الطبيعة والإنسان ومشاركته في متابعة البحث عن حقيقة الأشياء والوجود بما تيسّر لنا من نِعمه.

فهرس

6 الأنا الخلاَقة
9 المحترف مفاتيح وأروقة
12 الطبع والفنّ نهران يلتقيان في تجربتي
14 زمن الخلق وزمن التاريخ
17 الملكة القائدة أمّ أسعد
21 بصيرة أبو أسعد
24 عشيقتي الطبيعة
26 مختبر الحرب
30 مسيح لوحتي والمنحوتة
33 الحدس والعفويّة طاقتان تقودان مشاعري
36 حكايتي مع النحت
40 هذا ما يجري بيني وبين المتلقي
43 النحت باعتباره عشقاً وتحدياً
46 لا ندم في الفن
48 أنا مرآتان: واحدة للفنّان وواحدة للأستاذ الأكاديمي
51 هذه قصّتي مع اللون
56 خزّان طفولتي
60 حوار بين الخلق الفني والخلق الإلهي
63 الكومبيوتر ليس عدوّي لكني لستُ عبده
66 أسرار المهنة
69 مفتاح الآخر إليّ
72 نطفة السيراميك
75 هذا سرّ الشخص الواحد المتعدد
79 ثالوثي المفدّى
82 زنبرك الحياة والفن
84 العمل يُقرأ من عنوانه
86 الكلّ في الكلّ
88 النبع والملاذ

كتاب «المرايا الخلفية» لمارون الحكيم، يقول بلغةٍ هي مزيجٌ حيّ من التقنيات والمشاعر والأفكار والتأملات، ما لا بدّ منه لاكتناه الأسرار التي تصنع العمل الفني، والتي قد يجد المتلقي مشقةً في الوصول إليها كلّها من خلال اللوحات والمنحوتات نفسها.

هو سَفَرٌ في دواخل الحياة والفن يفكّك الصنيع التشكيلي، ويلقي الضوء على المكوّنات اللاواعية والواعية، الذاتية والموضوعية، المادية والمعنوية، البيئية والطبيعية والعائلية والعاطفية والثقافية والتقنية والاختبارية، التي تتشكّل منها تجربة هذا الرسّام – النحّات.

سَفَرٌ شائقٌ، على طريقة الأسئلة والأجوبة، يضع في يد القارئ، العارف والمتذوق، مفاتيح بالغة الأهمية، بسيطة ومركّبة، عفوية ومشغولة، وجدانية وعلمية، تمكّنه من فتح الأبواب وولوج الحدائق التي تحتضن أربعين عاماً من خبرة مارون الحكيم التشكيلية.

عقل العويط

بيرسان